

موقف اليهود من موسى -عليه السلام- «دراسة عقدية»

د. عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

موقف اليهود من موسى - عليه السلام -

«دراسة عقديّة»

د. عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع. أما التمهيد ففي سيرة موسى عليه السلام إجمالاً. وأذى اليهود للأنبياء إجمالاً. وأما الفصل الأول فتناول موقف اليهود من موسى من خلال كتبهم وما ورد فيها من إهانة موسى عليه السلام بالتوراة وأذى اليهود له بالتوراة. وبعض الأذى له بعد وفاته. وأما الفصل الثاني فتناول موقف اليهود من موسى من خلال القرآن والسنة من حيث: العصيان والتمرد والتعنت والتكذيب والقذف والذم وسوء الأدب. أما الخاتمة فاشتملت على أهم النتائج المتحصلة من خلال البحث.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. أما

بعد:

فإن الإيمان بالرسول - عليهم الصلاة والسلام - ركن من أركان الإيمان، فلا يستقيم لأحد دين، ولا يقبل منه عمل إلا إذا أيقن برسالتهم. وأذعن لكل ما جاؤوا به من الشرائع، كل حسب طاقته وبقدر ما بلغه من ذلك إجمالاً أو تفصيلاً. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَلْزَمَ النَّبِيَّ إِيمَانَهُ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُ مِنْ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(١). وفي الحديث أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فبيّنه بقوله: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره"^(٢).

والإيمان بالرسول - عليهم السلام - يتضمن تصديقهم وإجلالهم وتعظيمهم كما شرع الله تعالى، وأنهم أفضل الخلق عند الله تعالى. قد اختصهم الله تعالى بوحية، وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ دينه، وهم أكمل الخلق علماً وعملاً. "ومن زعم أنه آمن ببعض الرسل دون بعض لم يقبل منه ذلك، وكان في حكم من كفر بالجميع. وذلك لأمرين:

الأول: أن من تقدم من الرسل قد بشر بمن تأخر منهم. وأخذ عليه وعلى من تبعه العهد والميثاق إن أدركهم أن يؤمنوا به وينصروه. وأن من تأخر منهم مُصدق لمن بين يديه منهم. فمن كفر بواحد منهم تقدم أو تأخر فهو كافر بجميعهم.

الثاني: أن الأمر الذي ثبتت به رسالة من آمن به منهم. ومن أجله صدّقه وهو المعجزة، قد أجرى الله مثله على يد من كفر به من الأنبياء تصديقاً لهم في دعوى الرسالة. قال ﷺ: "ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر. وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"^(٣).

(١) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٠١) (٤٧٧٧)، ومسلم، رقم (١٠) عن أبي هريرة، وأخرجه مسلم، رقم (٨) عن عمر.

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٨١ و ٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢) (٢٣٩) عن أبي هريرة.

فكان إيمانه بمن آمن به، وكفره بغيره منهم اتباعاً للهوى لا لدليل النبوة، وإلا لآمن بالجميع، ومن كان إيمانه تبعاً لهواه، ولو تغير هواه لتغير إيمانه، فليس بمؤمن في حكم الشريعة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝﴾^{١٣٦}.

(١) سورة النساء، الآيات (١٦٠-١٦١). وما بين هلالين من كلام العلامة عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - من كتابه: «الحكمة من إرسال الرسل» ص (٥١ - ٥٢).

ولكن إن فحصنا كتب اليهود وأسفارهم المقدسة عندهم، ومواقف أسلافهم نجد أنهم أبعد الناس عن تعظيم موسى عليه السلام، واحترامه والقيام بحقوقه، ففي كتبهم من إهانتته والخط من شأنه الدلائل الكثيرة، وفي مواقف أسلافهم مع موسى عليه السلام خير دليل على عظيم امتهانهم وأذاهم لكلهم الله عليه السلام.

واليهود لم يدعوا نبياً من الأنبياء إلا وناله منهم الأذى العظيم - كما سيأتي - ففي أسفارهم وكتبهم اتهام للأنبياء بالفجور والفسق والشرك وكافة أنواع الكبائر - والعياذ بالله - بل تعدى هذا الأذى إلى مرحلة القتل لكثير من الأنبياء - كما سيأتي بيانه -، وهذا يعد من أقوى الأدلة على تلاعب اليهود في التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، وتبديلهم وتحريفهم فيها.

وبما أن اليهود يزعمون أنهم يعظمون موسى عليه السلام، ويدعون الإيمان الكامل له، ولكثرة مظاهر الأذى لموسى عليه السلام في كتب القوم، ولأن تقدير ذلك مما يؤكد باطمئنان تام أن اليهود قوم بهت أذعيا، وأنهم تلاعبوا بهواهم في التوراة وحرفوا فيها وزادوا وانقصوا؛ آثرت أن أبرز موقف اليهود من موسى وعرض مظاهر أذاهم لموسى عليه السلام من خلال كتبهم وأسفارهم المقدسة، ومن خلال ما قرره القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك ببحث عقدي يكون عنوانه: "موقف اليهود من موسى عليه السلام - دراسة عقدية -".

أسباب بحث الموضوع:

١ - أهمية الدفاع عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبيان حقوقهم ومكانتهم، والرد على من أذاهم أو خط من قدرهم، ولا ريب أن ذلك كله من الإيمان بالرسول، الذي هو أحد أركان الإيمان.

٢ - أن في تقرير سوء موقف اليهود من موسى من خلال أسفارهم وكتبهم، أقوى دليل على تناقض اليهود في زعمهم الإيمان بموسى عليه السلام، كما فيه الدليل الجلي الصريح على تلاعب اليهود بتوراة موسى وتحريفهم لها.

٣ - أن هذا الموضوع فيه إبراز لآخلاق اليهود المذمومة، فإن كان حالهم مع نبيهم والمعظم عندهم هذا الحال المزري من التمرد والعصيان والتضجر والتعننت والسب والشتم والقذف، فما هي حالهم مع من دون موسى عليه السلام عندهم؟!.

٤ - أن في بحث مثل هذه المواضيع إلزام بالرجوع إلى كتب اليهود، سواء كانت التوراة أم الأسفار الملحقة بها أم التلمود أو كتب كبار اليهود، وهذا الأمر أفادني كثيراً من ناحية التوثيق لمظاهر الأذى لموسى عليه السلام، أو للتعرف أكثر على سيرة اليهود وأخلاقهم ومواقفهم المذمومة.

٥ - وجود مادة علمية جيدة تفي بعرض هذا الموضوع، سواء من كتب اليهود أو من كتب أئمة أهل الإسلام.

٦ - أنني لم أر دراسة عقدية مختصة بهذا الموضوع، تهتم بعرض موقف اليهود من موسى وأذاهم له من خلال كتبهم أو من غيرها.

الخطة العامة للبحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس.

• المقدمة، وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب بحثه، وخطة البحث، ومنهج البحث.

• التمهيد، وفيه الآتي:

▪ أولاً: سيرة موسى عليه السلام إجمالاً.

▪ ثانياً: التعريف بكلمة "اليهود".

▪ ثالثاً: أذى اليهود للأنبياء -عليهم السلام- إجمالاً.

• الفصل الأول: موقف اليهود من موسى عليه السلام من خلال كتبهم، وفيه ثلاثة مباحث:

▪ المبحث الأول: إهانة موسى عليه السلام في التوراة المزعومة.

▪ المبحث الثاني: أذى بني إسرائيل لموسى عليه السلام من خلال التوراة.

▪ المبحث الثالث: بعض مظاهر أذى اليهود لموسى عليه السلام بعد وفاته.

• الفصل الثاني: موقف اليهود من موسى عليه السلام من خلال القرآن والسنة، وفيه

مبحثان:

▪ المبحث الأول: العصيان والتمرد والتضجر والتعنّت والتكذيب.

▪ المبحث الثاني: القذف والذم وسوء الأدب مع موسى عليه السلام.

• الخاتمة: وفيها، أبرز نتائج البحث.

• وزيلت البحث بفهرس المصادر، وفهرس الموضوعات.

وقد سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي، وقمت بتخريج الآيات والأحاديث، والحكم عليها إن كانت خارج الصحيحين، ووثقت الأقوال من مظانها. وعرفت بالأعلام - عدا الصحابة رضي الله عنهم - وعرفت بالفرق الواردة في البحث، وعلقت على ما أراه يحتاج إلى تعليق.

وبعد... فهذا جهد المقل أقدمه، فما كان من صواب فمن فضل الله وتوفيقه، وما كان من خطأ فمن نفسي المقصرة ومن الشيطان. نسأل الله أن يعصمنا من الضلال والبدع، وأن يوفقنا لما فيه الخير. والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

تمهيد:

أولاً: سيرة موسى عليه السلام إجمالاً.

هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

عليه السلام (١).

"لا اختلاف في نسبه" (٢).

وقد كان بدء أمر موسى أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس، فأحرقته دور مصر وجميع القبط إلا دور بني إسرائيل، فلما استيقظ جمع الكهنة والسحرة فقالوا: هذا غلام يولد من هؤلاء، يكون خراب مصر على يده، فأمر بقتل الغلمان، فلما ولد موسى أوحى الله إلى أمه أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم، قالوا: فكانت ترضعه، فإذا خافت عليه جعلته في تابوت وألقيته في البحر، وجعلت الحبل عندها، فنسيت الحبل يوماً فجري به النيل حتى وقف على باب فرعون، فالتقطه الجواري فأحضره عند امرأته، ففتحت التابوت فرأته فأعجبها، فاستوهبته من فرعون فوهبه لها، فربته فكان من أمره ما كان (٣).

ولما أصبح موسى في قصر فرعون، صار قلب أمه مهموماً متقللاً بأمر ابنها موسى، ومن شدة حزنها على فراق ابنها كادت أن تظهر لهم أنه ابنها، قال ﷺ: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرَعَاً ۖ إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ أَنَّ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبُهَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤) وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ قُصِّيه فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿٦﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ (٥).

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢١/٢)، والأثر الباقية عن القرون الخالية للطبري ص (٢٧٠)، والمنظم

(٢١/١)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (١٢٦/١).

(٢) من فتح الباري لابن حجر (٤٢٢/٦).

(٣) ينظر: فتح الباري (٤٢٢/٦ - ٤٢٣).

(٤) سورة القصص، الآيات (١٠ - ١٣).

ثم ذكر الله ﷻ أن موسى لما بلغ أشده أتاه الله حكماً وعِلْماً. ثم دخل مدينة من مدن مصر. فوجد رجلين يقتتلان. فانتصر موسى لمن كان من جماعته. وقتل القبطي. قال ﷻ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٥. ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغنه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ١٦.

ثم ندم موسى على ما صدر منه. واستغفر ربه بقوله. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ١٧.

وعاهد موسى القبط ربه: رب بنعمتك علي وبسبب إحسانك وغفرانك فأنا ملتزم ألا أكون معيناً للمجرمين ١٨.

ثم أصبح موسى خائفاً أن يؤخذ لأجل قتله القبطي. قال تعالى: ﴿فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِي مُبِينٌ﴾ ١٩. فلما أن أَرَادَ أَنْ يَنْطَلِقَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَمْوَسَى اأُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ مِمَّا تَكْتُمُ لَنَا كَمَا كُنْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ٢٠.

فلما سمع القبطي ذلك ذهب بها إلى باب فرعون وألقاها عنده. فعلم فرعون بأن موسى هو الذي قتل القبطي. فاشتد غضبه عليه وأراد قتله. وبعث إليه من يحضره عنده ٢١.

ثم خرج موسى فاراً من مصر واتجه لمدين. قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَى إِنَّ أَعْمَلَاءَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنَّ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ٢٢.

(١) سورة القصص. الأيتان (١٤ - ١٥).

(٢) سورة القصص. الآية (١٦).

(٣) من تفسير ابن عطية (٢٧٦/١١).

(٤) سورة القصص. الأيتان (١٨ - ١٩).

(٥) من تفسير ابن كثير (٢٨٣/٣). وينظر: تفسير القرطبي (٢٥٣/١٦).

وحكى الله لنا ما حصل لموسى عندما وصل مدين. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَزَعْنَا مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخَ كَبِيرٍ﴾ ﴿١٠﴾ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أترلت إلى من خير فقير ﴿١١﴾ ثم أخبرت الفتاتان أباهما ما حصل لهما مع موسى. فطلب من أحدهما أن تدعي موسى ليجزيه أجره. قال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَعْشَى عَلَى اسْتِخْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّهُ ابْنُ يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَحْوَتِ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٢﴾ ثم أشارت أحدهما على أبيها باستئجار موسى فهو قوي أمين. قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْبَى اسْتَفْجِرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَفْجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ﴾ ﴿١٣﴾ ولما وجد الأب في موسى الأمانة والقوة عرض عليه أن يروجه إحدى بناته على أن يأجره ثمانى سنوات. فإن أكمل عشرأ فمن عنده. قال تعالى: ﴿قَالَ إِنْ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمْنِي حَجَجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٤﴾ قال ذلك لبينى وبينك أيما آل جليل فضيت فلا غدوت على وألله على ما نقول وكل ﴿١٥﴾ فلما قضى موسى الأجل سار بأهله خارجاً من مدين. فلما اقترب من الطور كلمه الله تعالى. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَى إِنْ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿١٧﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوٍّ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَلِكُ بُرْهَانُكَ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿١٨﴾

(٦) سورة القصص، الآيات (٣٠ - ٣٢).

ثم قال موسى كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾^(١)
 وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ^(٢)
 قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِمَا يَتَّبِعُنَا أَنْتُمْ وَمَنِ
 اتَّبَعَكُمْ أَغْلِبُونَ^(٣).

وأمر الله موسى أن يذهب إلى فرعون يدعوه إلى الإيمان بالله. قال تعالى: ﴿أَذْهَبْ أَنتَ
 وَأَخُوكَ بِمَا يَتَّبِعُنِي وَلَا تَدِينَا فِي ذِكْرِي﴾^(٤) أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى^(٥) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيْنَا لَعَلَّهُ
 يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى^(٦).

فقال موسى وهارون فيما أخبر الله به: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى^(٧)
 ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^(٨). فقال ﴿مُخَاطَبًا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ
 بَعْدَ أَنْ طَمَأْنَمَهُمَا وَأَزَالَ عَنْهُمَا الْخَوْفَ مِنْ فِرْعَوْنَ: ﴿فَأَتَيْنَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ
 مَعَنَا بَنِي إِسْرٰءِيلَ وَلَا تَعْذِيبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلٰى مَنْ اتَّبَعَ هُدًى﴾^(٩) إِنَّا
 قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾^(١٠). ثم ذهب موسى وهارون إلى فرعون
 وأخبراه بما أمرهما الله به. فقال فرعون فيما أخبرنا تعالى بقوله: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا
 يَمُوسٰى﴾^(١١) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى^(١٢).

ويخبرنا الله أن فرعون ادعى الألوهية لنفسه. قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُوهَا أَلْمَلَآءُ
 عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْنَمُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْلُعُ إِلٰى
 إِلٰهِ مُوسٰى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكٰذِبِينَ﴾^(١٣).

ويخبرنا الله تعالى أنه أعطى موسى بعض الآيات ليظهرها أمام فرعون. قال تعالى:
 ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسٰى بِبَيِّنَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعٰلَمِينَ﴾^(١٤) فَلَمَّا

(١) سورة القصص. الآيات (٢٣ - ٢٤).

(٢) سورة طه. الآيات (٤٢ - ٤٤).

(٣) سورة طه. الآيتان (٤٦ - ٤٧).

(٤) سورة طه. الآيتان (٤٧ - ٤٨).

(٥) سورة طه. الآيتان (٤٩ - ٥٠).

(٦) سورة القصص. الآية (٣٨).

جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا مُضْجِكُونَ ﴿١٩﴾ وكان مع موسى آيتان: العصا واليد، قال تعالى - مبينا الحوار بين موسى وفرعون - : ﴿ قَالَ أُولَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٢١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنّٰظِرِيْنَ ﴿٢٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ثم استشار فرعون أتباعه فيما يفعله مع موسى، فأشاروا عليه بجمع السحرة ومناظرة موسى. قال تعالى - عن فرعون - : ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿٢٥﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ خَنٌ وَلَا أَنْتَ مَكَاَنًا سُوًى ﴿٢٦﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ تُخْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٢٧﴾ ١٩.

ثم اجتمع السحرة في اليوم المحدد، وحصل الحوار الآتي في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ اأَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٢٨﴾ فَأَلْقَوْا حِبَاهُمْ وَاعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٣٠﴾ ولما رأى السحرة ذلك آمنوا بالله، قال ﷻ: ﴿ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا ءَا مَنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ رَبُّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٣٣﴾ فهددهم فرعون، قال تعالى: ﴿ قَالَ ءَا مَسْتَرِلَةٌ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُفُّ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا أَقْطَعُ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَيْكُمْ أَحْمِيضُ ﴿٣٤﴾ فقال السحرة - كما قال تعالى - : ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٦﴾ وعند ذلك أراد فرعون قتل موسى، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٣٧﴾ وقال موسى إني عدتُ بربي وربكم من كل متكبرٍ لا يؤمن بيوم الحساب ﴿٣٨﴾.

(١) سورة الزخرف. الآيات (٤٦ - ٤٧).

(٢) سورة الشعراء. الآيات (٣٠ - ٣٤).

(٣) سورة طه. الآيات (٥٧ - ٥٩).

(٤) سورة الشعراء. الآيات (٤٣ - ٤٥).

(٥) سورة الشعراء. الآيات (٤٦ - ٤٨).

(٦) سورة الشعراء. الآية (٤٩).

(٧) سورة الشعراء. الآيات (٥٠ - ٥١).

(٨) سورة غافر. الآيات (٢٦ - ٢٧).

ولما استمر فرعون على كفره عاقبه الله وقومه بالشدائد والمصائب. قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ يَدَيْهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُجْرًا ۚ وَقَدْ آتَيْنَاهُمُ الْغُلُوبَ﴾ (١٠). وقد ابتلى الله فرعون وقومه بأمور ذكرها تعالى في كتابه بقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَءَ ۚ إِنِّي مَقْصِلَةٌ فَأَسْتَكَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا تُجْرِمِينَ﴾ (٢١). وقال تعالى:

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمُوسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيَلْزِمَنَّا ۚ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لِنُؤْمِنَ لَكَ وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۚ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ (٢٢).

ولما طال مقام موسى عليه السلام فيها حجج الله وبراهينه على فرعون وملئه. وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون. لم يبق لهم إلا العذاب بعد هذا الإمهال الطويل من رب العالمين. فأمر الله تعالى موسى أن يخرج بقومه بني إسرائيل ليلاً من مصر. وأن يمضي بهم حيث يؤمر. ففعل موسى عليه السلام ربه ﷻ. وأعلمه أن فرعون سيبعثهم هو وجنوده. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اسْرِعْ بِعِبَادِي ۖ إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾ (٢٣). فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ (٢٤). وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَنِدْرُونَ ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (٢٥). كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ (٢٦). فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿قَالَ كَلَّا ۚ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (٢٧). فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿وَأَرْسَلْنَا نَحْمُ الْآخَرِينَ﴾ (٢٨). وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (٢٩). ويخبرنا الله عن غرق عدو الله فرعون بقوله: ﴿وَجَنَوْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ ۖ بَغْيًا وَعَدُوًّا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ۖ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بُنُوا إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٠). وَاللَّهُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ

(١) سورة الأعراف. الآية (١٣٠).

(٢) سورة الأعراف. الآية (١٣٣).

(٣) سورة الأعراف. الآيتان (١٣٤ - ١٣٥).

(٤) سورة الشعراء. الآيات (٥٢ - ٦٦).

مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠﴾ قَالَتِمْ تُنْجِيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ
ءَايَتِنَا لَغَفِلُونَ ﴿١١﴾

ثم لما أنجى الله موسى ومن معه من بني إسرائيل وأهلك فرعون ومن معه،
وجاوزوا البحر ذهبوا قاصدين إلى بلاد الشام. قال تعالى: ﴿وَجَوَّزْنَا بِنِيِّ إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ
فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ
قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِمُتَّبِعُونَ فِيهِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾

”قالوا هذا الجهل والظلال، وقد عاينوا من آيات الله وقدرته ما دلهم على صدق ما
جاءهم به رسول ذي الجلال والإكرام“ (١).

”والمقصود أن موسى عليه السلام لما انفصل من بلاد مصر وواجه بلاد بيت المقدس وجد
فيها قوماً من الجبارين. فأمر موسى قومه بالدخول عليهم ومقاتلتهم وإجلالهم إياهم
عن بيت المقدس. فإن الله كتبه لهم. ووعدهم إياه على لسان إبراهيم الخليل وموسى
الكليم الجليل. فأبوا ونكلوا عن الجهاد. فسلط الله عليهم الخوف. وألقاهم في التيه.
يسيروا ويحلون. ويرتحلون. ويذهبون ويجيئون في مدة من السنين طويلة هي من العدد
أربعون“ (٢).

وقد حكى الله لنا ما حصل لموسى عليه السلام مع قومه من أذى - كما سيأتي تفصيله -
في قصة البقرة. وعبادتهم العجل. وقصة قارون وغيرها.

كما حكى الله لنا قصة موسى مع الخضر - عليهم السلام - (٣).

وفي أثناء تيه بني إسرائيل توفي الله موسى عليه السلام. وجاءت قصة وفاته في الصحيح.
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ”أُرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام. فلما جاءه صكه.

(١) سورة يونس. الايتان (٩٠ - ٩٢). وينظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، للدكتور عبد
الكريم زيدان (٣٠٣/١) وما بعدها.

(٢) سورة الاعراف. الآيات (١٣٨ - ١٤٠).

(٣) من البداية والنهاية لابن كثير (١٢٢/٢).

(٤) من المصدر السابق (١٣٤/٢).

(٥) ينظر: سورة الكهف. الآيات (٦٠ - ٨٢).

فرجع إلى ربه ﷻ فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن، قال: فسأل الله تعالى أن يدنيه من الأرض المقدسة، رمية حجر، فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر^(١).

* * *

ثانياً: التعريف بكلمة: "اليهود".

اليهود كلمة عبرانية الأصل، ترجع في النسبة إلى يهوذا^(٢) رابع أبناء يعقوب - عليهم السلام -، قلبت العرب ذالها دالاً مهملة، وقد أطلقت أولاً على سبط أو مملكة يهوذا تمييزاً لهم عن الأسباط العشرة الذين كونوا مملكته إسرائيل، ثم توسع معناها حتى صارت تشمل جميع اليهود المشتتين في العالم، وعلى هذا فإن لفظ إسرائيل كان في أول الأمر يعني معنى واسعاً عاماً، إذ لا يشمل كل ذرية أبناء يعقوب، بينما كلمة يهودي تعني معنى خاصاً إذ لا تشمل سوى طائفتين من بني إسرائيل، وهما يهوذا وبنيامين، ولكن تساوت الكلمات وتبادلت المعاني في وقتنا الحاضر، فأصبحت كلمة يهودي مساوية لكلمة إسرائيل^(٣).

(١) صحيح البخاري (٣٤٠٧)، مرفوعاً وموقوفاً وصحيح مسلم (٢٣٧٢)، موقوفاً، وينظر: تفصيلاً في قصة موسى وأخباره: تاريخ الطبري (١٨٨/١)، والمنظّم (٣٢١/١)، والكامل (١٢٦/١).

(٢) وقيل: إنها من اليهود، أي الرجوع والتوبة، كما قال تعالى: [إنا هدنا إليك] [الأعراف: ١٥٦]، أي تبنا، وتنطبق هذه التسمية إلى حد كبير على سيرة اليهود من حيث كثرة عصيانهم وتمردهم ثم توبتهم بعد ذلك، وقد روي هذا التعليل عن علي عليه السلام، كما في تفسير الطبري (٤٨٢/١٠)، بإسناد فيه جابر الجعفي وهو ضعيف، وينظر: تفسير ابن كثير (٣٣٤/٢)، وعن ابن مسعود كما في الدر المنثور للسيوطي (٧٤/١ - ٧٥)، وهورأي الشهرستاني في الملل والنحل (١١)، والأنباري في الزاهر في معاني كلمات الناس (٢١٤/٢)، ويميل إليه الأصفهاني في المفردات (٦٩ د)، وابن عطية في تفسيره (٣٢٦/١)، وابن كثير في تفسيره (١٤٨/١)، بينما يميل القرطبي في تفسيره (٤٣٢/١)، والقاسمي في تفسيره (١٤٣/٢) إلى أنه نسبة إلى يهوذا.

(٣) ينظر: جهود الإمامين ابن تيمية وابن القيم في دحض مفتريات اليهود، لسميرة بناني ص (٦١).

ثالثاً: أذى اليهود للأنبياء -عليهم السلام-.

اصطفى الله ﷺ أنبيائه من بين سائر خلقه. كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ
الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾^(١). وحبى الله ﷺ الرسل بأن جعلهم حملة دينه إلى
الناس. وأمر الله ﷺ نبيه محمداً ﷺ بالافتداء بهم. قال ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
فَبِهِدْنِهِمْ أَقْتَدِ﴾^(٢). قال ابن عباس - في الآية -: نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدى بهم^(٣) -
يعني الأنبياء المذكورين في الآية -.

والرسالة - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤) - ضرورة للعباد. لابد لهم منها.
وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء. والرسالة روح العالم. ونوره، وحياته، فأبي
صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه
شمس الرسالة. وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة. ويناله من حياتها
وروحها فهو في ظلمة. وهو من الأموات. قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ
نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥). فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل. فأحياه الله بروح
الرسالة ونور الإيمان. وجعل له نوراً يمشي به في الناس. وأما الكافر فميت القلب في
الظلمات^(٦).

والإيمان بالأنبياء والرسل معناه: الإيمان بأن الله ﷻ أرسل رسلاً من البشر.
يملكون من طبائع البشر وخصائصهم غاية الكمال البشري في أرقى صورته. طهارة في

(١) سورة الحج. الآية (٧٥).

(٢) سورة الأنعام. الآية (٩٠).

(٣) صحيح البخاري (٤٦٣٢). وتفسير ابن الجوزي (٨١/٣)، وتفسير ابن كثير (١١٠/٦). وتفسير السيوطي

(١٢٤/٦ - ١٢٥)، وتفسير الشوكاني (١٤٤/٢).

(٤) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر. الإمام تقي الدين ابن تيمية. ولد سنة

(٦٦١هـ). وتوفي سنة (٧٢٨هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٢٧٨/٤)، وفوات الوفيات للكتبي (٣٥/١).

والبدر الطالع للشوكاني (٦٣/١)، ومعجم المؤلفين لكحالة (١٦٣/١).

(٥) سورة الأنعام. الآية (١٢٢).

(٦) مجموع الفتاوى (٩٣/١٩ - ٩٤).

القلب. وزكاة في الأخلاق، يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق. ويجلسون وينامون ويتزوجون، ولهم ذرية، ويتعرضون للأذى والاضطهاد، ويتعرضون للمرض والموت إما قتلاً وإما حتف أنفسهم. وقد جعل الله تعالى جميع الرسل صلوات الله تعالى عليهم من الرجال، فلم تكلف أي أثنى بالتبليغ... كما لا يملكون من خصائص الملائكة شيئاً. ويتميزون بالوحي برسالة الله إليهم، دون البشر، فيهيئهم الله بذلك تهيئة خاصة بمزايا وفضائل وقدرات، كما خصهم بفضائل وأخلاق تؤهلهم للاضطلاع بأعباء الرسالة. كما يجب الإيمان بأن الله ﷻ كملهم بصفات خلقية عظيمة وجليلة من الأمانة والصدق والفظانة وغير ذلك من الأخلاق اللازمة التي يستوجبها الشرع والعقل للقيام بمسؤولياتهم التي أناطها الله تعالى بهم^(١).

ومن يطالع أسفار اليهود المقدسة عندهم، ويرصد سيرتهم فسيجد العجب العجائب فيما يتعلق بالأنبياء -عليهم السلام-، فتارة نجد التوراة تنفي على بعض الأنبياء، فتقول - عن نوح عليه السلام -: كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله وسار نوح مع الله^(٢). وقال الرب لنوح: ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك، لأنني إياك رأيت باراً لدي في هذا الجيل^(٣). وتقول التوراة - عن إبراهيم عليه السلام -: بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى إبراهيم في الرؤيا: لا تخف يا إبراهيم، أنا ترس لك، أجرك كثير جداً^(٤).

وتقول التوراة - عن لوط عليه السلام -: هو ذا عبدك قد وجد نعمة في عينيك، وعظمت لطفك الذي صنعت إلي^(٥)، وغيرها من النصوص.

ولكن هذه الفضائل عندهم للأنبياء تضيع في بحر الرذائل التي تلتصقها التوراة زوراً وبهتاناً بحملة رسالات الله من الأنبياء والمرسلين الذي اصطفاهم الله لتبليغ وحيه إلى الناس.

(١) من كتاب: "جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية في دحض مفتريات اليهود"، للباحثة: سميرة عبد الله بناني ص (٢٦٨ - ٢٦٩).

(٢) سفر التكوين، إصحاح (٦) ص (١١)، (٩ - ١٠).

(٣) سفر التكوين، إصحاح (٧) ص (١١ - ١٢)، (١ - ٢).

(٤) سفر التكوين، إصحاح (١٥) ص (٢٢)، (١ - ٢).

(٥) سفر التكوين، إصحاح (١٩) ص (٢٨)، (١٩ - ٢٠).

وليت الأذى وقف عند اليهود حد الافتراء على الأنبياء والرسل واتهامهم بالكبان. ولكن وصل إلى حد الكفر بكثير منهم. ومطار دتهم. وقتل بعضهم. وبما أن المقام لا يسمح بالتفصيل في ذلك، فسأكتفي بعرض بعض صور أذى اليهود للأنبياء إجمالاً.

(أ): قتل اليهود لبعض الأنبياء.

لم يسلم أنبياء بني إسرائيل من عدوان اليهود بشتى صورته، وكان من أقبح صور هذا الأذى والعدوان قتلهم - أخزاهم الله - لبعض الأنبياء. وقد أخبر الله ﷻ عن جريمتهم في ذلك بقوله: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾^(١).

وقال ﷻ فيهم: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾^(٢). وقال ﷻ: ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾^(٣).

وروي في بعض الأحاديث ذكر عدد من قتل من الأنبياء. فعن أبي عبيدة ؓ قال: قال ﷺ: "قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة...."^(٤). ويروي أن اليهود قتلوا سبعين نبياً في أول النهار وأقاموا سوق بقلهم في آخره^(٥). وجاء ذلك موقوفاً على ابن مسعود بإسناد رجاله ثقات^(٦).

(١) سورة البقرة. الآية (٨٧).

(٢) سورة البقرة. الآية (٦١). ونحوها سورة آل عمران. الآية (٢١).

(٣) سورة البقرة. الآية (٩١).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١/٢) رقم (٢٦٧)، وابن جرير في تفسيره (٢٩١/٥)، والبخاري في مسنده (١٢٨٥). والبعوي في تفسيره (٢٠/٢ - ٢١). بإسناد فيه أبو الحسن مولى بني أسد. قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: مجهول. وكذا قاله الذهبي وابن حجر. ينظر: الجرح والتعديل (٣٥٧/٩). وميزان الاعتدال (١٤/٤)، ولسان الميزان (٤٥٩/٧).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (١٠١/٩)، وهداية الحيارى (١٣١.١١).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٦٣٦). بتحقيق د. أحمد الزهراني ص (١٩٧). بإسناد رجاله ثقات وذكره ابن كثير في تفسيره (٤٠/٣)، والسيوطي في تفسيره (٢٨٨/١)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم. والطيالسي. ولم أقف عليه في مسند الطيالسي بتحقيق د. محمد التركي.

وروي في بعض النصوص تسمية الأنبياء الذين قتلهم اليهود، فعن ابن عباس قال: أوحى الله إلى نبيكم أني قتلت يحيى بن زكريا سبعين ألفاً^(١)، وجاء عن ابن عباس قتل يحيى بن زكريا في قصة ذكرها كثير من المفسرين والمؤرخين^(٢). ورويت آثار كثيرة عن بعض الصحابة^(٣) والتابعين^(٤) في قتل يحيى وزكريا -عليهما السلام-.

وتقرير محاولة قتل الأنبياء أو قتل بعضهم ثابت في أسفار اليهود المقدسة، ففي سفر النبي إرميا: وكان لما فرغ إرميا من التكلم بكل ما أوصاه الرب أن يكلم كل الشعب به أن الكهنة والأنبياء وكل الشعب أمسكوه قائلين تموت موتاً... ثم قال إرميا لهم: ولكن اعلّموا أنكم إن قتلتموني تجعلون دماً زكياً على أنفسكم...^(٥). وفي هذا السفر أيضاً طلب أحد ملوك بني إسرائيل قتل إرميا وهرب إرميا منه^(٦). وفي هذا السفر أيضاً قول إرميا: وأنا كخروف داخن يساق إلى الذبح^(٧). وفي سفر الملوك الأول أمرت إحدى اليهوديات بقتل أنبياء الرب تعالى، لولا أن أحدهم خبأ خمسين نبياً وأخذ يعولهم بالماء والخبر ليعيشوا^(٨).

-
- (١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/٢٩٠-٢٩١)، ثم قال: كنت أحسب دهرأ أن المسمعي ينفرد بهذا الحديث عن أبي نعيم حتى حدثناه أبو محمد السبيعي الحافظ ثنا عبد الله بن محمد بن ناجية ثنا حميد بن الربيع ثنا أبو نعيم فذكره بإسناد نحوه. وأخرجه ابن عساکر (٦٤/٢١٦)، وروى عن حذيفة مرفوعاً عند الطبري (١٤/٤٥٧)، وفيه قتل اليهود الأنبياء، وقتل زكريا، قال العلامة ابن كثير: وهو حديث موضوع لا محالة لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث، والعجب كل العجب كيف راج عليه -أي على الطبري- مع إمامته وجلالة قدره، وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزي بأنه موضوع مكذوب، التفسير (٨/٤٢٨). وروي عن أبي بن كعب مرفوعاً قتل يحيى بن زكريا عند البيهقي في الشعب (١٠٤٧٤)، وابن عساکر في تاريخه (٦٤/٢٠٦)، وقد ضعفه البيهقي في الشعب والألباني في ضعيف الجامع (٢٠١٥).
- (٢) ينظر: تفسير الطبري (١٤/٥٠٣-٥٠٤)، ومستدرک الحاكم (٢/٢٩٠)، وتاريخ الطبري (١/٥٨٦)، وتاريخ ابن عساکر (١٨/١٠١)، وتفسير ابن المنذر (٣١٨)، وتفسير السيوطي (٣/٩٢)، ومن عاش بعد الموت لابن أبي الدنيا (٤٣).
- (٣) عن ابن عمرو عند ابن عساکر في تاريخه (٦٤/٢٠٨)، والسيوطي في تفسيره (١٠/٢٦١)، وعن علي عند ابن عساکر (٦٤/٢١١)، والسيوطي (٩/٢٥٢)، وعن ابن مسعود عند الطبري في تفسيره (١٤/٤٥٦-٤٥٧)، والسيوطي (٩/٢٥٦-٢٥٧)، وعن ابن الزبير عند ابن عساکر (٦٤/٣١٤-٣١٥)، والسيوطي (١٠/٢٦١)، وعن الحسين بن علي عند ابن عساکر (٦٤/٢٠٦)، والسيوطي (١٠/٣٥٠-٣٦٠).
- (٤) عن سعيد بن جبير عند أحمد في الزهد (٧٦)، والسيوطي في تفسيره (١٠/٣٧)، وعن سعيد بن المسيب عند ابن كثير في البداية والنهاية (٢/٤١٣-٤١٤)، وقال: وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب.
- (٥) سفر إرميا، إصحاح (٢٦) ص (١١١٥) (٩ و ١٥).
- (٦) سفر إرميا، إصحاح (٢٦) ص (١١١٦)، (٢٢).
- (٧) سفر إرميا، إصحاح (١١) (١٩-٢٣).
- (٨) سفر الملوك الأول، إصحاح (١٨) ص (٦٩) (٤-٥).

وجاء في سفر الملوك الأول أيضاً: امسكوا أنبياء البعل، ولا يقلت منهم رجل فأمسكوهم ونزلوا بهم إلى نهر وذبحوهم^(١). وفيه أيضاً شكوى بعض أنبياء بني إسرائيل إلى الله من قتل اليهود للأنبياء^(٢).

وفي سفر التثنية: إذا قام في وسطكم نبي... فذلك النبي يقتل^(٣). وفي كتاب "الكنز المرصود": يلزم أن يقتل الإنسان بيده كل الكفرة مثل يسوع الناصري^(٤).

ولا يخفى أن اليهود يزعمون أنهم قتلوا المسيح^(٥)، وهيهات لهم، بل أنجاه الله منهم، ورفعهم للسماء. قال ﷺ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا آتِبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾^(٦) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا^(٧). وقد حاول اليهود قتل أشرف الأنبياء محمد ﷺ عدة مرات^(٨)، وآخرها لما سموه فتوفي ﷺ على إثر هذا السم^(٩).

-
- (١) سفر الملوك الأول، إصحاح (١٨) ص (١٨)، (١٤٠).
- (٢) سفر الملوك الأول، إصحاح (١٩) ص (١٩)، (١٤٠).
- (٣) سفر التثنية، إصحاح (١٣) ص (٣٠)، (د).
- (٤) الكنز المرصود في قواعد التلمود (١٠٩)، وسيأتي الكلام على التلمود وتعريفه.
- (٥) ينظر: دائرة المعارف اليهودية (١٧٢، ١٦٤/٧).
- (٦) سورة النساء (١٥٧ - ١٥٨).
- (٧) حاول اليهود قتل النبي ﷺ، فمن ذلك عزمهم على طرح صخرة عليه، فجاء الوحي إليه يخبرهم وغدرهم فغادر المكان. ينظر: سيرة ابن هشام (١٦٣/١)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤٢٣/١ - ٤٢٤) و(٣٥٤/٢)، وتفسير مجاهد (٣٠٢)، وتفسير الطبري (٢٢٨/٨).
- (٨) ومنها عزمهم على الالتقاء بالنبي ﷺ ومعه ثلة من أصحابه والغدر به. ينظر: سنن أبي داود (٣٠٠٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (٢٥٩٩).
- (٩) خبر سم اليهود للنبي ﷺ في الصحيحين عن أنس في البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠)، ولفظ آخر في البخاري (٥٧٧٧)، عن أبي هريرة، وكان ﷺ يقول - في مرضه الذي مات فيه لعائشة - رضي الله عنها -: "يا عائشة ما زلت أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم". صحيح البخاري (٤٤٢٨)، معلقاً، وأسند البيهقي في الدلائل (١٧٢/٧)، والحاكم في المستدرک (٥٨/٣)، وينظر: تعليق التعليق لابن حجر (١٦٢/٤ - ١٦٣).

(ب)؛ اتهام الأنبياء بالكبائر والعظائم.

ومن أبرز جوانب الأذى للأنبياء عند اليهود ما افتروا به على الأنبياء والرسل من صفات مذمومة، فاتهموهم بالفسق والكبائر بل بالكفر والشرك والعياذ بالله.

مثل افتراءهم على سليمان عليه السلام أنه يعبد آلهة من دون الله تعالى^(١). وأن أبناء يعقوب عليه السلام يعبدون الأصنام ويعقوب راض عنهم^(٢).

وهارون عليه السلام هو الذي صنع عجل بني إسرائيل، وأمرهم بعبادته^(٣). وهذا يوشع بن نون عليه السلام بعد أن تمكن من دخول مدينة أريحا وضع أسس التعامل مع أهل المدينة قائلاً: "وحرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف"^(٤).

"والتحريم في المعنى اليهودي هو إبادة كل شيء في مدينة مهزومة أو إهلاكها، أو تخريبها تخريباً تاماً"^(٥).

والنبي داود عليه السلام ينسبون إليه أفضع الجرائم، فقد أخرج الشعب من إحدى المدن، ووضعهم تحت المناشير الحديدية، وفؤوس الحديد^(٦).

وابراهيم عليه السلام يجعل زوجته سارة أختاً له ليجمع بها أموال الناس بالباطل – والعياذ بالله – وابنه إسحاق عليه السلام يعرض زوجته على أحد الملوك^(٨). وهذا نوح عليه السلام سكر حتى تعرى^(٩). وهذا لوط عليه السلام شرب الخمر واضطجع مع ابنتيه فحملتا منه^(١٠).

(١) ينظر: سفر الملوك الأول، إصحاح (١١) ص (٥٥٣ – ٥٥٤) (د – ٦).

(٢) ينظر: سفر التكوين، إصحاح (٣٥) ص (٥٧) (٣ – ٤).

(٣) ينظر: سفر الخروج، إصحاح (٣٢) ص (١٤٠) (١ – ٦).

(٤) ينظر: سفر يشوع، إصحاح (٦) ص (٣٤٥) (٢١).

(٥) من شريعة الحرب عند اليهود ص (٢٠٦) لحسن ظاها والسيد عاشور.

(٦) ينظر: سفر صموئيل الثاني، إصحاح (١٢) ص (٥٠١) (٣١).

(٧) ينظر: سفر التكوين، إصحاح (١٢) ص (١٩)، (١٤ – ١٧).

(٨) سفر التكوين، إصحاح (٢٦) ص (٤٠).

(٩) سفر التكوين، إصحاح (٩) ص (١٥)، (٣١).

(١٠) سفر التكوين، إصحاح (١٩) ص (٢٩)، (٣١ – ٣٨).

وآدم عليه السلام كان يزني بشيطانة لمدة ٣٠ سنة^(١)، ويعقوب يعيش بالزنا مع ابنة خاله الكبرى وينجب منها^(٢)، وداود عليه السلام يزني وينجب من الزنى ابنه النبي سليمان عليه السلام^(٣)، وهوشع عليه السلام يزني بأمر الرب^(٤).

والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام ابن زنى أنت به أمه بالفاحشة^(٥).

وهذه المفتريات من اليهود في حق الأنبياء - عليهم السلام - غيظ من فيض، وإلا فالناظر في أسفارهم ومؤلفاتهم يجد أعظم من ذلك، وكل هذا من تحريف اليهود وتلاعبهم وتبديلهم في توراتهم، وإلا فالتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام برينة من ذلك^(٦).

هذه هي صفات الأنبياء - عليهم السلام - عند اليهود، استخفاف بحقهم، وسب لهم، واتهام بشتى الأوصاف الفظيعة وأنواع الكبائر، ومطاردتهم وقتلهم.

ولاشك أن من سب أو استخف بأي نبي من الأنبياء أو آذاه، فهو كافر بالإجماع، قال القاضي عياض^(٧): من استخف بمحمد صلى الله عليه وسلم، أو بأحد من الأنبياء أو أزرى عليهم أو آذاهم... فهو كافر بإجماع^(٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: من خصائص الأنبياء أن من سب نبياً من الأنبياء قتل باتفاق الأئمة، وكان مرتداً، كما أن من كفر به وبما جاء به كان مرتداً، فإن الإيمان لا يتم إلا بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله^(٩).

(١) ينظر: الكنز المرصود ص (٥٤).

(٢) ينظر: سفر التكوين، إصحاح (٢٩) ص (٤٦ - ٤٧).

(٣) ينظر: سفر صموئيل الثاني، إصحاح (١١) ص (٤٩٨)، (٤)، وإصحاح (١٢) ص (٥٠٠) (١٦).

(٤) ينظر: سفر هوشع، إصحاح (٢) ص (١٢٨٧)، (١ - ٧).

(٥) ينظر: الكنز المرصود (٩٩ - ١٠٠)، وولادة يسوع لحوزيف كلاسنر (٥٧)، وينظر أيضاً: إفحام اليهود للسموأل ص (١٠٣).

(٦) من كتاب: هداية الحيارى، لابن القيم ص (٤١٧).

(٧) هو عياض بن موسى بن عياض، العلامة الكبير القاضي أبو الفضل الأندلسي المالكي، ولد سنة (٤٧٦ هـ)، وتوفي سنة (٤٤٤ هـ)، ينظر: وفيات الأعيان (٨٣/٣)، وتذكرة الحفاظ (١٣٠٤/٤)، والسير (٢١٢/٢٠)، والشذرات (١٣٨/٤).

(٨) الشفا - بشرح القاري - (٤١٨/٥ - ٤١٩).

(٩) الصفة (٢١٧/١).

وقال: الطعن في الأنبياء طعن في توحيد الله وأسمائه وصفاته. وكلامه ودينه وشرائعه وأنبياؤه ووثابه وعقابه بل يقال: إنه ليس في الأرض مملكة قائمة إلا بنبوة أو أثر نبوة، وإن كل خير في الأرض فمن آثار النبوات. وليست أمة مستمسكة بالتوحيد إلا أتباع الرسل. قال الله ﷻ: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾^(١). فأخبر أن دينه الذي يدعو إليه المرسلون كبر على المشركين، فما الناس إلا تابع لهم أو مشرك. وهذا حق لا ريب فيه. فعلم أن سب الرسل والطعن فيهم ينبوع جميع أنواع الكفر وجماع جميع الضلالات، وكل كفر ففرع منه. كما أن تصديق الرسل أصل جميع شعب الإيمان. وجميع مجموع أسباب الهدى^(٢).

وعيب الأنبياء بأي شيء من المكفرات، قال ابن نجيم^(٣): ويكفر بعبه نبياً بشيء^(٤).

وقال الدردير^(٥): من سب نبياً مجمعاً على نبوته، أو عرّض بسب نبى، بأن قال عند ذكره، أما أنا فلست بزان أو سارق فقد كفر، وكذا إن ألحق بنبي نقصاً، أو قال: إن ببذنه عرجاً أو شللاً^(٦).

* * *

(١) سورة الشورى. الآية (١٣).

(٢) الصارم المسلول ص (٢٥٠ - ٢٥١).

(٣) هوزين الدين بن إبراهيم بن محمد بن محمد المصري. الشيخ الشهير بابن نجيم الحنفي. توفي سنة (٩٧٠هـ). ينظر: الشذرات (٣٥٨/٨). ومعجم المؤلفين (٧٤٠/١).

(٤) البحر الرائق (١٣٠/د).

(٥) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي. الشيخ أبو البركات الشهير بالدردير. ولد سنة (١١٣٧هـ). وتوفي سنة (١٢٠١هـ). ينظر: فهرس الفهارس للكتاني (٢٩٣/١). وعجائب الآثار للجبرتي (١٤٧/٢). ومعجم المؤلفين (٢٤٢/١).

(٦) الشرح الصغير على أقرب المسالك (١٤٩/٦ - ١٥٠). بتصرف.

الفصل الأول: موقف اليهود من موسى عليه السلام من خلال كتبهم

المبحث الأول: إهانة موسى عليه السلام في التوراة المزعومة

مقدمة.

تقدم في التمهيد بيان بعض مواقف اليهود التي تبرز عداوتهم للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. وهذا أمر لا شك فيه فاليهود معروفون بعداوة الأنبياء قديماً^(١)، والانتقاص من حقوقهم^(٢).

ومن أظهر أوجه التناقض في التوراة المزعومة صفات الأنبياء والرسل. فتحتوي بعض نصوص الأسفار اليهودية المتعلقة بأنبياء الله ورسله من جهة على ما يؤكد معرفتهم بالله حق المعرفة اللانقبة بجلاله وعظمته. وعبادتهم له، ومخافتهم منه على الوجه الصحيح، كما تشير من جهة أخرى إلى دعوتهم لأهل بيتهم وقومهم من بني إسرائيل للإيمان بالله تعالى ونبد عبادة ما سواه، والتزام شريعته، والسير على طريقه، واجتناب مخالفته وعصيانته، وغير ذلك.... وتعكس هذه النصوص صوراً تقرب مما جاء في عقيدة الإسلام من علو منزلة الأنبياء والرسل، لولا التحريفات التي لحقت بالتوراة. وقد جاءت صريحة برمي هؤلاء الأنبياء والرسل بالزنا والجرائم أو اتصافهم بالتناقض والقبائح^(٣).

وكليم الله موسى عليه السلام ناله نصيبه الوافر من التناقض في التوراة المزعومة. فتارة نجد أنهم يجعلونه في مكانة لا يصل إليها واحد من معاصريه، أو من اللاحقين به من بني قومه. ولهذا فهو يعد حقاً شيخاً للأمة الإسرائيلية. بل هو الذي كان سبباً في وجود اليهود كأمة^(٤). وهو بو الأنبياء عند اليهود^(٥).

(١) من هداية الحيارى ص (١٩).

(٢) ينظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (٢٠٢/٢).

(٣) ينظر: جهود الإمامين ابن تيمية وابن القيم في دحض مفتريات اليهود لسميرة البناني ص (٢٨٥).

(٤) ينظر: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم - إسرائيل الكتاب الأول - التاريخ. د. محمد بيومي مهران (٣٤٨/٧).

(٥) النبوة والأنبياء عند بني إسرائيل. د. محمد بيومي مهران ص (٨٨). وأحال إلى سفر هوشع (٣/١٢). وكتاب: حول تاريخ أنبياء بني إسرائيل لسيجال ص (٤٠، ٢٠).

جاء في سفر التثنية: ولم يَقمَ بَعْدُ نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه^(١).

وجاء إطلاق لفظ الإله على موسى، ففي سفر الخروج: فقال الرب لموسى: انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك^(٢).

قال موسى بن ميمون^(٣) اليهودي: إذ قد تكلمنا في ماهية النبوة وعرفنا حقيقتها، وبيّنا أن نبوة سيدنا موسى مباحنة لنبوة من سواه، فلنقل: إن عن ذلك الإدراك وحده لزمّت الدعوة إلى الشريعة، وذلك أن هذه دعوة سيدنا موسى لنا لم يتقدم مثلها لأحد ممن علمناه من آدم إليه، ولا تأخرت بعده دعوة مثلها لأحد من أنبيائنا، وكذلك قاعدة شريعتنا أنه لا يكون غيرها أبداً، فلذلك بحسب رأينا لم تكن ثمّ شريعة ولا تكون غير شريعة واحدة، وهي شريعة سيدنا موسى، أما كل نبي منا تأخر بعد سيدنا موسى، فقد علمت نص قصتهم كلها، وكونهم بمنزلة الوعاظ للناس داعين لشريعة موسى، يتوعدون الراغب عنها، ويعدون من استقام في تبعتها^(٤).

ويقول: إن اسم نبي عندي إنما هو مقول على موسى، وعلى من سواه بتشكيك^(٥).
ويقرر بعض اليهود أن المتكلم في موسى كالتكلم في الله ﷻ^(٦).
ولكن إن تأملنا نصوص كتابهم المزعوم التوراة، نجد شيئاً آخر يناقض هذا التعظيم المزعوم، ويكشف تلاعب اليهود في التوراة، وتحريفهم وتبديلهم لها.

(١) سفر التثنية، إصحاح (٣٤) ص (٣٣٦ - ٣٣٧) (١٠ - ١٢).

(٢) سفر الخروج، إصحاح (٧) ص (٩٦) (١).

(٣) هو موسى بن ميمون أبو عمران اليهودي القرطبي، طبيب عالم بشريعة اليهود، أعلن إسلامه ثم عاد إلى اليهودية، ولد سنة (٥٢٩هـ)، وتوفي سنة (٦٠٥هـ). ينظر: هدية العرّافين للبعدادي (٤٧٨/٢).

والإعلام للزركلي (٢٨٤/٨)، ومعجم المؤلفين (٩٣٨/٣).

(٤) دلالة الحائرين ص (٤١١ - ٤١٢).

(٥) المصدر السابق ص (٣٩٨).

(٦) كما حكاه مراد فرج في كتابه القراؤون والربانيون ص (٢٦).

وفيما يلي عرض لمظاهر الانتقاص من كلیم الله موسى عليه السلام وإهانتة في التوراة المزعومة.

١- تصوّر التوراة موسى عليه السلام رجلاً فظاً جافاً حاداً، لا يتأدب مع الله، ويعترض عليه، وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

قال موسى للرب: استمع أيها السيد؟!.... فحمي غضب الرب على موسى^(١).
وقال موسى للرب: ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك... فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه^(٢).

وقال موسى للرب: لماذا أسأت إلى عبدك؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علي... فإن كنت تفعل بي هكذا فاقتلني قتلاً^(٣).
وجاء في سفر الخروج: فرجع موسى إلى الرب وقال: يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب؟ لماذا أرسلتني؟ فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلّم باسمك أساء إلي هذا الشعب وأنت لم تخلص شعبك^(٤).

وفيه أيضاً: فرجع موسى إلى الرب وقال:.... إن غفرت خطيئة الشعب وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت^(٥).

وجاء في سفر العدد أن الله قال لموسى: غدا تأكلون اللحم إلى تمام الشهر، فقال له موسى: هم ستمائة ألف رجل، وأنت تقول: أنا أعطيهم اللحوم طعاماً شهراً، أترى تكثر بذبائح البقر والغنم يقتاتون بها، أو تجمع حيتان البحر معاً لتشعبهم؟^(٦).
قال العلامة ابن حزم^(٧) - رحمه الله -: حاشى لله أن يراجع رجل له مسكة عقل ربه ﷻ هذه المراجعة، وأن يشك في قوته على ذلك، وعلى ما هو أعظم منه، فكيف

(١) سفر الخروج، إصحاح (٤) ص (٩٢)، (١٠٠)، (١٤).

(٢) سفر الخروج، إصحاح (٣٢) ص (١٤٠)، (١٢).

(٣) سفر العدد، إصحاح (١١) ص (٢٢٩)، (١١)، (١٥).

(٤) سفر الخروج، إصحاح (٥) ص (٩٤)، (٢٣).

(٥) سفر الخروج، إصحاح (٣٢) ص (١٤١)، (٣٢).

(٦) سفر العدد، إصحاح (١١) ص (٢٣٠)، (٢٣).

(٧) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، العلامة الكبير أبو محمد الأندلسي القرطبي، ولد سنة (٣٨٤هـ)، وتوفي سنة (٤٥٦هـ)، ينظر: وفيات الأعيان (٣/٢٢٥)، والبدایة والنهاية (١٥/٧٩٥)، والسير (١٨/١٨٤)، والشذرات (٢/٢٩٩).

رسول نبي؟، أترى موسى ^(عليه السلام) دخله قط شك في أن الله تعالى قادر على أن يكثر بذبائح البقر والغنم حتى يشبعهم؟ أو على أن يأتيهم من حيتان البحر بما يشبعهم منه؟ حاشى لله من ذلك. أترى خفى على موسى ^(عليه السلام) أن الله تعالى هو الذي يرزق جميع بني آدم في شرق الأرض وغربها اللحم وغير اللحم؟ وأنه تعالى رازق سائر الحيوانات كلها من الطائر والعائم والمنساب والماشي على رجلين وأربع وأكثر حتى يستنكر أن يشيع شردمة قليلة لا قدر لها من اللحم؟ حاشى له من ذلك. فكيف يقول موسى ^(عليه السلام) هذا الكلام الأحمق؟ حاشى له من ذلك^(١).

٢ - تصوّر التوراة موسى ^(عليه السلام) بأنه رجل مجسم، فهو يخاطب التابوت كأنه إله، والإله يسكن في التابوت. فموسى كان عند "ارتحال التابوت يقول: قم يا رب فليتبدد أعداؤك. ويهرب مبغضوك من أمامك، وعند حلوله كان يقول: ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل"^(٢).

و"موسى عرفه الرب وجهاً لوجه"^(٣)، و"يكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه"^(٤).

قال موسى - يمجّد الرب -: الرب رجل الحرب... ويريح أنفك تراكمت الحياة^(٥).
٣ - تتهم التوراة موسى بالخيانة. وبعدم حفظ وصايا الرب، ففي سفر التثنية: وكلم الرب موسى قائلاً: اصعد إلى هذا الجبل، ومت في الجبل الذي تصعد إليه، وانضم إلى قومك. كما مات هارون أخوك، لأنكما خنتما في وسط بني إسرائيل^(٦).
وفي سفر الخروج: قال الرب لموسى: إلى متى تأبون أن تحفظوا وصاياي وشرائعي؟^(٧).

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/٢٧٨ - ٢٧٩).

(٢) سفر العدد، إصحاح (١٠) ص (٢٢٨) (٣٥ - ٣٦).

(٣) سفر التثنية، إصحاح (٣٤) ص (٣٣٦) (١٠).

(٤) سفر الخروج، إصحاح (٣٣) ص (١٤٢) (١١).

(٥) سفر الخروج، إصحاح (١٥) ص (١١٨)، (٣، ٧).

(٦) سفر التثنية، إصحاح (٣٢) ص (٣٣٤) (٤٨ - ٥١).

(٧) سفر الخروج، إصحاح (١٦) ص (١١٤) (٢٨).

وأن الله يغضب على موسى كثيراً وأراد قتله؟^(١).

وتقرر التوراة أن موسى يأمر بسرقة المصريين. جاء في سفر الخروج أن موسى يخاطب بني إسرائيل قائلاً: تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم. فتسلبون المصريين^(٢).

ويزعمون أن موسى عند خروجه ببني إسرائيل من مصر قال لهم: استعبروا حلي المصريين عارية. فلما فعلوا واستعاروا حلي المصريين وثيابهم، أمرهم موسى أن يهربوا بها ويغصبوها. وقال: هذه أجرة سخرتكم، فلبسوها وذهبوا ليلاً^(٣).

قال العلامة الهاشمي^(٤) - معلقاً على هذه الفضيحة لليهود -: ومعلوم أنهم لا أجرة لهم على الأيتام والأرامل والمستضعفين من أهل مصر. بل على فرعون وذويه الذين استوفوا منافعهم. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمْتَنَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهِنَّ﴾^(٥). وقد هاجر رسول الله ﷺ من بين المشركين كما فعل موسى غير أنه ترك من أهل بيته من أدى الودائع إلى أربابها ولم يخلل بأمانته ﷺ^(٦).

(١) سفر الخروج. إصحاح (٤) ص (٢٤) (٢٤).

(٢) سفر الخروج. إصحاح (٣) ص (٩١) (٢٢).

(٣) سفر الخروج. إصحاح (١١) ص (١٠٤) بنحوه.

(٤) هو صالح بن الحسين بن طلحة بن الحسين بن محمد بن الحسين. الشيخ العلامة أبو البقاء الجعفري الهاشمي. ولد سنة (٨١ هـ). وتوفي سنة (٦٦٨ هـ). ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي (٢٦/١٦). وذيل مرآة الزمان لليونيني (٤٣٨/٢). ومعجم المؤلفين (٨٣٠/١).

(٥) سورة النساء. الآية (٥٨).

(٦) تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل (٥٧٣/٢ - ٥٧٤). قال محقق الكتاب د. محمود عبد الرحمن قدح: قال ابن إسحاق: ولم يعلم - فيما بلغني - بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وال أبو بكر. أما علي فإن رسول الله ﷺ - فيما بلغني - أخبره وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس. وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ. سيرة ابن إسحاق (١٤٢/٢). ونقله البيهقي عن ابن إسحاق في الدلائل (٤٦٤/٢).

"وهكذا لم يعترف كتبة التوراة بجريمة قومهم فحسب بل جعلوها تتم برضى من موسى وبأمر منه. وفي الحقيقة أن الإساءة إلى أنبياء الله الكرام من بني إسرائيل أمر معروف في التوراة. ونظائره كثيرة"^(١).

٤ - تصور التوراة موسى بأنه صنع تمثالاً من نحاس. يشفي به كل من لدغ. جاء في سفر العدد: فصنع موسى حية من نحاس. ووضعها على الراية. فكان متى لدغت حية إنساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا^(٢).

قال العلامة الهاشمي - بعد نقله هذه القصة -: وكيف يُعدّ ذلك إلى موسى - عليه السلام - وقد شحن توراته بتوحيد الله وتنزيهه وإفراذه بالربوبية والألوهية. ثم أمر بقتل المصورين للصورة. ونهى عن إتيان العرافين والمنجمين ومتحلمي الأحلام. وحرص على قتل من دعا إلى عبادة غير الله وأشرك مع الله إلهاً آخر. قال ~~الله~~: من دعاك إلى عبادة آلهة أخرى فاقتله واقتل من استجاب له من الواحد والجماعة والبلدة. ولا تحننوا عليهم ولا ترحموا قومهم. وأزبلوا الشر من بينكم^(٣).

٥ - تصرّح التوراة بأن موسى وهارون -عليهم السلام- لم يأذن الله بدخولهما الأرض المقدسة: لأنهما لم يصدقانه. ولم يقدا سانه أمام بني إسرائيل. ففي سفر العدد: فقال الرب لموسى وهارون: من أجل أنكما لم تؤمنّا بي وتقدا ساني أمام أعين بني إسرائيل. لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياها^(٤). وقال الرب لموسى وهارون: إنكما عصيتماي ولم تطهراي^(٥).

قال العلامة رحمة الله الهندي^(٦) - معلقاً على هاتين العبارتين -: ففي هاتين العبارتين تصريح بصدور الخطأ عن موسى وهارون -عليهم السلام-، بحيث صار

(١) من كلام د. محمد بيومي مهران في كتابه دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم. إسرائيل (٣٥٥/٧).

(٢) سفر العدد. إصحاح (٢١) ص (٢٤٧) (٨ - ٩).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٤٤٧/١). وكلام موسى في سفر التثنية. إصحاح (١٣) ص (٣٠١).

(٤) سفر العدد. إصحاح (٢٠) ص (٢٤٦) (١٢).

(٥) سفر التثنية. إصحاح (٣٢) ص (٣٣٤) (٥١).

محرومين عن الدخول في الأرض المقدسة. وقد قال الله زاجراً: إنكما لم تصدقاني وتقديساني. وإنكما عصيتما^(١).

٦ - كما تصوّر التوراة العلاقة بين موسى وكل من هارون ومريم بالعناد والحسد. فيزعم اليهود أن هارون ومريم أخته وقعا في موسى وتناولاه. وجرى بينهم شر وتحاسد. وأن مريم عابت على موسى نكاحه امرأة سوداء. وأنهما قالاه: أظن أن الله تعالى إنما كلمك وحدك؟! كلمنا نحن أيضاً. قال اليهود: فنزل الله تعالى إلى قبة الزمان. ودعا هارون ومريم وتوعدهما. وبرّص مريم فصارت برصاء من ساعتها^(٢).

قال الهاشمي: وكذب اليهود هذا ما لا يتلى به أمثال هؤلاء الأعلام. إذ الحسد مراغمة لمقدور الله. وهو كبيرة لا تجوز على الأنبياء.... فصدور الكبائر منهم تحرم الثقة بهم والطمأنينة إليهم. فلعن الله اليهود ما أكثر ما يتناولون أنبياء الله قتلاً وقذفاً^(٣).

“ويعلم الله وتشهد ملائكته أن موسى وهارون -عليهم السلام- لم يكونا كما صورتهما اليهود في التوراة. وإنما كانا رسولين كريمين. بذلا الجهد كل الجهد في تبليغ دعوة ربهما. وأفنيا عمرهما من أجلها. حتى لقيا الله مطمئنين إلى رضاه”^(٤).

٧ - تستخف التوراة بآيات موسى ~~عليه السلام~~. وتنقص من قدرها. ففي سفر الخروج أن موسى حين دعا فرعون بالسحرة ألقى عصاه وزدردت عصي السحرة. وأن موسى ضرب ماء النهر بعصاه فعاد دماً وفعل السحرة مثل ذلك برقاهم^(٥). وأن هارون مد يده على

(١) هورحمة الله بن خليل الرحمن الهندي الدهلوي العثماني. ولد سنة (١٢٣٣هـ). توفي سنة (١٢٠٨هـ). وقيل (١٣٠٦هـ). ينظر: هدية العارفين (١/٣٦٦). ومعجم المؤلفين (١/٧١٢). ومقدمة د. محمد أحمد ملكاوي لتحقيق إظهار الحق (١/١٥) وما بعدها.

(٢) إظهار الحق (٤/١٢٤).

(٣) سفر العدد. إصحاح (١٢) ص (٢٣١) (١ - ٩. ٢ - ١٠).

(٤) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/٥٧٠ - ٥٧١). وينظر: الفصل لابن حزم (١/٢٨٠).

(٥) من كلام د. محمد بيومي مهران في كتاب دراسات في تاريخ الشرق الأدنى - إسرائيل - (٩/٢٠١).

(٦) سفر الخروج. إصحاح (٧) ص (٩٦١ - ٩٧). ومعنى ازدرد: بلغ. ينظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (زرد) ص (٣٦٤).

مياه مصر وخرجت الضفادع منها، وغطت أرض مصر، ففعل السحرة برقاهم مثل ذلك، وأقبلوا بالضفادع على أرض مصر^(١).

قال ابن حزم: هذه الآية^(٢) المصمثلة^(٣)، والصيلم^(٤) المطبقة، ولو صح هذا لبطلت نبوة موسى عليه السلام، بل نبوة كل نبي.

ولو قدر السحرة على شيء من جنس ما يأتي به النبي لكان باب السحرة وباب مدعي النبوة واحداً، ولما انتفع موسى بازدراد عصاه لعصيتهم، ولا بعجزهم عن البعوض، وقد قدروا على قلب العص حيات، وعلى إعادة الماء دماً، وعلى المجيء بالضفادع، ولما كان موسى عليه السلام بنبوته أكثر من أنه أعلم بذلك العمل منهم فقط، ولو كان كما قال هؤلاء الكذابون الملعونون، لكان فرعون صادقاً في قوله: ﴿إِنَّهُ لَكَيْبَرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السَّحَرَ﴾^(٥)، ولا منفعة لهم في قول السحرة في البعوض: هذا صنع الله، لأنه يقال لبني إسرائيل: فعلى موجب قول السحرة لم يكن من صنع الله قلب العصا حية والماء دماً، والمجيء بالضفادع، بل من غير صنع الله.

وهذه عظيمة تقشعر منها الجلود، أين هذا الإفك المفترى من نور الحق الباهر؟ إذ يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ﴾^(٦)، وإذ يقول تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾^(٧)، قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨﴾ قَالُوا يَنْمُوسَى إِمَّا أَنْ تَتْلِي وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ خَنُ الْمُتْلِينَ ﴿٩﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١٠﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١﴾ فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَنَطَّلَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ ﴿١٢﴾ فَعُلُّوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١٣﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٤﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٦﴾، وإذ يقول تعالى:

(١) سفر الخروج: إصحاح (٨) ص (٩٧ - ٩٩).

(٢) أي الداهية، ينظر: القاموس المحيط، مادة (أبد) ص (٣٣٧).

(٣) أي المشتدة، ينظر: القاموس المحيط، مادة (صل) ص (١٢٢٢).

(٤) الصيلم: الأمر الشديد والداهية، ينظر: القاموس المحيط، مادة (صلم) ص (٨٤٨).

(د) سورة طه، الآية (٧١)، والشعراء، الآية (٤٩).

(٦) سورة طه، الآية (٦٩).

(٧) سورة الأعراف، الآيات (١١٣ - ١٢٢).

﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَهُمْ حُجِّلْ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَبَا تَسْعَى﴾^(١). فأخبر ﷺ أن الذي عمل موسى حق، وأن عصاه صارت ثعباناً على الحقيقة بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾^(٢). فصح أنه تبين ذلك لكل من رآه يقيناً. وأخبر أن الذي عمل السحرة إنما هو إفك وتخيل وكيد، وهذا هو الحق الذي تشهد به العقول لا في الكتاب المبدل المحرف. فصح أن فعل السحرة حيلة مموهة لا حقيقة لها. وهذا الذي يصححه البرهان، إذ لا يحيل الطبائع إلا خالقها. شهادة لرسله وأنبيائه، وفرقاً بين الصدق والكذب، لا قولهم عمل السحرة مثل ما عمل موسى في وقت تكليفه برهاناً على صدق قوله. وعند تحديه لهم على أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين وهو كاذب، فأتوا بمثله، فانظروا النتيجة - يرحكم الله - هذه سواة تشهد شهادة قاطعة بأن صانع ذلك الكتاب المكذوب ويدعون أنه توراة موسى ﷺ إنما كان زنديقاً مستخفاً بالباري تعالى ورسله وكتبه، وحاشى لموسى ﷺ منه^(٣).

٨ - الذي يتأمل التوراة المزعومة يلحظ - إضافة لما تقدم من أمثلة الانتقاص من موسى - أن كُتَاب التوراة يطلقون على موسى لقب الزعيم القبلي لا النبي الرسول^(٤). ويلحظ أيضاً حرص كُتَاب التوراة المحرفة على الانتقاص من مكانة موسى إعلاءً لشأن داود وبيت داود في أمور أشد ما تكون التصاقاً بالعقيدة التوحيدية. كما عند الأنبياء المتأخرين غمراً ولمزاً^(٥). إضافة إلى أن التوراة جد حريصة على إثبات أنساب عديد من الشخصيات، ولكنها ليست كذلك مع موسى ﷺ. فتقول في سفر الخروج: إن أباه وأمه من بيت لاوي^(٦). ولا تزيد، لا تسميهما حتى^(٧).

(١) سورة طه، الآية (٦٦).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٠٧). والشعراء، الآية (٣٢).

(٣) الفصل (٢٤٨/١) - (٢٤٩).

(٤) ينظر: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى، لمحمد بيومي مهران (٢٩٥/٧)، وينظر: اليهودية، والمسيحية للأعظمي ص (٧٦).

(٥) دراسات في تاريخ الشرق الأدنى - إسرائيل - لمهران (٣١٠/٧).

(٦) سفر الخروج، إصحاح (٢) ص (٨٨).

(٧) دراسات في تاريخ الشرق الأدنى، لمهران (٣١١/٧).

ويشير الدكتور محمد بيومي مهران إلى بعض مظاهر الانتقاص من موسى في الأصول اليهودية القديمة، فيقول: «فالتفسيرات جميعاً تكاد تتفق - في سعي خبيث - إلى التهوين من قدر موسى، فالأنبياء المتأخرون دون غيرهم أصحاب الفضل في إرساء أركان الديانة التوحيدية، ولا بأس من التسليم لموسى بأنه كان عالماً على منعرج حاسم في تاريخ بني إسرائيل، ولا ذكر لموسى - أويكاد - في الأصول التوراتية القديمة، لا نفع على اسمه إلا خطفاً»^(١).

وتصل درجة الانتقاص عند اليهود من موسى إلى درجة أن يشكك الناس بوجود موسى عليه السلام أساساً وأنه شخصية أسطورية، قال د. محمد مهران - مبيناً انعدام أية وثيقة تاريخية معاصرة تحدثنا عن الكليم عليه السلام، وعن وقائعه في مصر - غير ما ورد في الكتب المقدسة وتراث اليهود -: «إن اليهود أصبحوا لا يعرفون حتى أين دفن الكليم؟ ليتبين لنا كيف أضع اليهود الرجل العظيم وجحدوا مكانته، مما أدى في نهاية الأمر إلى أن يبدي بعض علماء التاريخ والآثار والدراسات اليهود شكوكهم حول تاريخية الرجل العظيم، بل إن جوستاف لوبون يقول بصراحة: إن موسى شخص أسطوري أكثر من كونه شخصاً تاريخياً»^(٢).

ومن هنا فإن جمهور مفكري اليهود العلمانيين في العصر الحديث تذهلهم تلك الشخصية، كما تتراعى عملاقة جبارة، بينما يؤرقهم في الوقت نفسه افتقارهم إلى الدليل المادي، مهما كان ضئيلاً تافهاً الذي يقنعهم بأنه كان له وجود»^(٣).

هذه صفات موسى عليه السلام عند اليهود، رجل فظ جاف، لا يتأدب مع الله، خائن، يأمر بالسرقة، مجسم مشرك، يستحق غضب الله، إلى غيرها من الصفات التي لا يرضاها الرجل على نفسه فضلاً عن أن تُنسب إلى نبي من الأنبياء.

(١) المصدر السابق (٢٠٩/٧).

(٢) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص (٧٥)، وجوستاف لوبون مؤرخ فرنسي، عنى بالحضارات الشرقية، ولد سنة (١٨٤١م)، وتوفي سنة (١٩٢١م)، ينظر: قالوا عن الإسلام، لعماد الدين خليل ص (٨٦).

(٣) دراسات في تاريخ الشرق الأدنى، (٣١٢/٧ - ٣١٣).

بينما نجد الحق الذي لا مزية فيه في صفات موسى في القرآن الكريم. ففي القرآن أمجد تكريم له. قال ﷻ: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَنَسُدُّنَاهُ مِنَ جَانِبِ الْأُطُورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيبًا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ﴾^(١). وقال: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ وَخِجَيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۖ وَنَصَرْتَهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۖ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ ۖ سَلِمُوا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ﴾^(٢) إِيَّاهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ^(٣) وقال عن موسى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَابًا مَنِيًّا وَلَتَذُنَّ عَلَىٰ عَيْنِي ۖ﴾^(٤). وقال: ﴿يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَاخْذُ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مَنِ السَّاكِرِينَ ۖ﴾^(٥).

فما عرضه القرآن الكريم عن موسى ﷺ يبرز الوجه الناصع لحقيقة هذا النبي العظيم. فهناك اختلاف كبير جداً بين عرض القرآن لسيرة موسى وبين سيرة موسى في كتب اليهود. وبهذا يتضح أن كل ما نسب إلى موسى في العهد القديم إنما هو من مفتريات ودسائس وعدوان الكتاب والأخبار على أنبياء الله وفي مقدمتهم موسى ﷺ. والحقيقة التي يبرزها القرآن الكريم ويقدمها للناس درساً وتبصرة ورحمة فضلاً عن أنها تظهر نبي الله موسى من دنس ووثنية كتاب العهد القديم. هذه الحقيقة هي أن نبي الله موسى مثله فيما اصطفاه الله به من شرف النبوة مثل غيره من أنبياء الله جميعاً من العصمة والطهر. ولا يتميز عنهم بشيء يخرجهم من بشريته. أو يجرده عن نبوته. كما حاول كتاب العهد القديم أن يزيفه على نبي الله موسى ﷺ^(٦).

(١) سورة مريم. الآيات (٥١ - ٥٣).

(٢) سورة الصافات. الآيات (١١٤ - ١٢٢).

(٣) سورة طه. الآية (٣٩).

(٤) سورة طه. الآية (٤١).

(٥) سورة الأعراف. الآية (١٤٤).

(٦) ينظر: التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه. د. صابر طعيمة ص (٧٦٠ - ٧٦١).

المبحث الثاني

أذى بني إسرائيل لموسى عليه السلام من خلال التوراة

من المسلمات التي لا شك فيها أن كثيراً من بني إسرائيل قد آذوا موسى عليه السلام، ونصوص التوراة الحالية تصرح بذلك وتؤكدده. ولم يقتصر الأذى لموسى على انتقاص كتبة التوراة المحرفة من قدره - كما تقدم في المبحث السابق - بل تعدى ذلك إلى إثبات وتقرير أذى اليهود العظيم له في حياته عليه السلام، ونصوص التوراة حافلة بتقرير ذلك. وكان أكثر مظاهر هذا الأذى هو كثرة تمرد اليهود وتذمرهم وثوراتهم على موسى، ولنذكر بعض النصوص من التوراة التي تؤكد ذلك:

جاء في سفر الخروج - في قصة خروج موسى ببني إسرائيل من مصر -: فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية، وقال لهما بنو إسرائيل: ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر. إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع. فإنكما أخرجتمنا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع.

فقال الرب لموسى: ها أنا أمطر لكم خبزاً من السماء... فقال موسى وهارون لجميع بني إسرائيل في المساء: تعلمون أن الرب أخرجكم من أرض مصر وفي الصباح ترون مجد الرب لاستماعه تذمركم على الرب.

وأما نحن فماذا حتى تتذمروا علينا، وقال موسى: ذلك بأن الرب يعطيكم... لتشبعوا لاستماع الرب تذمركم الذي تتذمرون عليه، وأما نحن فماذا، ليس علينا تذمركم بل على الرب^(١).

وجاء في سفر الخروج: ثم ارتحل كل جماعة بني إسرائيل... ولم يكن ماء ليشرب الشعب، فخاصم الشعب موسى وقالوا: أعطونا ماءً لنشرب. فقال لهم موسى: لماذا تخاصمونني؟... وتذمر الشعب على موسى وقالوا: لماذا أصدتنا من مصر؟ لتميتنا وأولادنا

(١) سفر الخروج، إصحاح (١٦) ص (١١٢ - ١١٣) (٢ - ٨).

ومواشيننا بالعطش؟ فصرخ موسى إلى الرب قائلاً: ماذا أفعل بهذا الشعب؟ بعد قليل يردونني^(١).

وجاء في سفر العدد: فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة، وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بني إسرائيل^(٢).

وفيه أيضاً: فتذمر كل جماعة بني إسرائيل في الغد على موسى وهارون قائلين: أنتما قد قتلتما شعب الرب^(٣).

وفيه أيضاً قول الرب لموسى: فأسكن عني تذمرات بني إسرائيل التي يتذمرونها عليكما^(٤)، وفيه: وخاصم الشعب موسى^(٥).

ويصل التمرد والتذمر حده عند اليهود - حسب رواية التوراة - إلى الثورة على موسى شخصياً وطلب خلعه. جاء في سفر العدد قول بني إسرائيل - معترضين ومتذمرين على موسى -: ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض؟ لنسقط بالسيف، تصير نساءنا وأطفالنا غنيمة، أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر، فقال بعضهم لبعض: نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر^(٦). "وهذا مع ما شاهدوا من الآيات، وعانوا من العبر والمعجزات"^(٧).

وموسى ^{عليه السلام} كان كثيراً ما يشتكي من تمرد قومه عليه، قال - كما تقدم -: يا رب ماذا أفعل بهذا الشعب؟ بعد قليل يردونني^(٨).

وذم موسى لبني إسرائيل - جرّاء بغيتهم وتمردهم وعصيانهم - مما هو متقرر في نصوص التوراة، ونصوص القرآن الكريم - كما سيأتي تفصيله -.

(١) سفر الخروج، إصحاح (١٧) ص (١١٥) (٤).

(٢) سفر العدد، إصحاح (١٤) ص (٢٣٣) (١ - ٢).

(٣) سفر العدد، إصحاح (١٦) ص (٢٤٠) (٤١).

(٤) سفر العدد، إصحاح (١٧) ص (٢٤١) (٥).

(٥) سفر العدد، إصحاح (٢٠) ص (٢٤٥) (٣).

(٦) سفر العدد، إصحاح (١٤) ص (٢٣٣ - ٢٣٤) (٣ - ٤).

(٧) من كلام العلامة الهاشمي في التخييل (٥٧١/٢).

(٨) سفر الخروج، إصحاح (١٧) ص (١١٥) (٤).

والأقوال المقررة لذلك من أسفار التوراة على ذم بني إسرائيل كثيرة جداً. نذكر منها على سبيل المثال:

جاء في سفر الخروج: فقال الرب لموسى: اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصدته من أرض مصر. زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به... وقال: رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة، فالآن اتركني ليحامي غضبي عليهم وأفنيهم^(١).

وجاء في سفر العدد - في قصة نكول بني إسرائيل عن قتال الجبارين - فقال موسى: هل ينطلق إخوتكم إلى الحرب وأنتم تقعدون ههنا؟ فلماذا تصدون قلوب بني إسرائيل عن العبور إلى الأرض التي أعطاهم الرب؟ هكذا فعل آبائكم حين أرسلتهم... نظروا الأرض وصدّوا قلوب بني إسرائيل عن دخول الأرض التي أعطاهم الرب. فحمني غضب الرب في ذلك اليوم وأقسم قائلاً: لن يرى الناس الذين صعدوا من مصر من ابن عشرين سنة فصاعداً الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب لأنهم لم يتبعوني تماماً... فحمني غضب الرب على إسرائيل وأناههم في البرية أربعين سنة حتى فنى كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب، فهوذا أنتم قد قمتم عوضاً عن آبائكم تربية أناس خطاة لكي تزيدوا أيضاً حمو غضب الرب على إسرائيل إذا ارتددتم من ورائه^(٢).

وقال يشوع - مخاطباً بني إسرائيل -: حتى متى أنتم متراخون عن الدخول لامتلاك الأرض التي أعطاكم إياها الرب إله آبائكم؟^(٣).

وجاء في سفر التثنية - في مخاطبة موسى لقومه -: لكنكم لم تشاؤوا أن تقعدوا وعصيتكم قول الرب إلهكم وتمررتم في خيامكم، وقلتم: الرب بسبب بغضه لنا قد أخرجنا من أرض مصر ليهلكنا... فقلت لكم: لا ترهبوا ولا تخافوا منهم. الرب إلهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم... ولكنكم في هذا الأمر لستم واثقين بالرب إلهكم...

(١) سفر الخروج: إصحاح (٢) ص (١٤٠ - ٩) - (١٠ - ٩).

(٢) سفر العدد: إصحاح (٣٢) ص (٢٦٨) - (١٥ - ٦).

(٣) سفر يشوع: إصحاح (١٨) ص (٣٦٦ - ٣٦٦) - (٣ - ٢).

وسمع الرب صوت كلامكم فسخط... وعليّ أيضاً غضب الرب بسببكم. قائلاً: وأنت أيضاً لا تدخل إلى هناك^(١).

وجاء في سفر التثنية: وقال الرب لموسى: ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجنيبين في الأرض... ويتركني وينكث عهدي الذي قطعته معه. فيشتعل غضبي عليه وأتركه وأحجب وجهي عنه... وتصيبه شرور كثيرة وشدائد حتى يقول في ذلك اليوم: أما لأن إلهي ليس في وسطي أصابتني هذه الشرور. وأنا أحجب وجهي في ذلك اليوم لأجل جميع الشر الذي عمله إذ التفت إلى آلهة أخرى... وقال موسى --- مخاطباً بني إسرائيل -: لأنني عارف تمردكم ورقابكم الصلبة. هوذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتي؟.

...لأنني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به. ويصيبكم الشر: لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم^(٢).

وجاء أيضاً في نفس السفر قول الرب لموسى: أحجب وجهي عنهم. وأنظر ماذا تكون آخرتهم. إنهم جيل متقلب. أولاد لا أمانة فيهم. هم أغاروني بما ليس إلهاً. أغاظوني بأباطيلهم. فأنأغيرهم بما ليس شعباً. بأمة غبية أغيظهم. إنه قد اشتعلت نار بغضبي فتنقد إلى الهاوية السفلى وتأكل الأرض... أجمع عليهم شروراً وأنفذ سهامي فيهم... إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم. لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم^(٣). وجاء في سفر يشوع: وخان بنو إسرائيل خيانة في الحرام... فحمني غضب الرب على بني إسرائيل... قال الرب ليشوع: قد أخطأ إسرائيل بل تعدوا عهدي الذي أمرتهم به. بل أخذوا من الحرام بل سرقوا بل أنكروا...^(٤).

وجاء في سفر الملوك الثاني: وأشهد الرب على إسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء وكل راءٍ قائلاً: ارجعوا عن طرقكم الرديّة. واحفظوا وصاياي فرائضي حسب

(١) سفر التثنية. إصحاح (١) ص (٢٧٨ - ٢٧٩). (٢٦ - ٣٧). ونحوه إصحاح (٣) ص (٢٨٣ - ٢٦).

(٢) سفر التثنية. إصحاح (٣١) ص (٣٢٠ - ٣٣١). (١٦ - ٢٩).

(٣) سفر التثنية. إصحاح (٣٢) ص (٣٣٢ - ٣٣٣). (٢٠ - ٢٨).

(٤) سفر يشوع. إصحاح (٧) ص (٣٤٧ - ٣٤٨). (١ - ١١).

كل الشريعة التي أوصيت بها آباءكم، والتي أرسلتها إليكم عن يد عبيدي الأنبياء، فلم يسمعوا بل صلبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم، ورفضوا فرائض وعهده الذي قطعه مع آبائهم... وساروا وراء الباطل... وتركوا جميع وصايا الرب إلههم، وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلىن وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل... وباعوا أنفسهم لعمل الشر في عيني الرب لإغاظته، فغضب الرب جداً مع إسرائيل ونحاهم من أمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده، ويهوذا أيضاً لم يحفظوا وصايا الرب إلههم بل سلكوا في فرائض إسرائيل التي عملوها، فردل الرب كل نسل إسرائيل وأذلهم^(١).

واليهود معترفون - من خلال توراتهم - بأنهم لم يحفظوا وصايا موسى عليه السلام، جاء في سفر نحemia عليه السلام قولهم: لقد أفسدنا أمامك ولم نحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أمرت بها موسى عبدك^(٢).

وجاء في نفس السفر: وفي اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر اجتمع بنو إسرائيل بالصوم وعليهم مسوح وتراب... واعترفوا بخطاياهم وذنوب آبائهم... ثم قال أحد أنبيائهم - يخاطب الرب في بيان نعم الله على بني إسرائيل وجحودهم وبغيهم -: ولكنهم بغواهم وآبأونا وصلبوا رقابهم ولم يسمعوا لوصاياك وآبأوا الاستماع ولم يذكروا عجائبك التي صنعت معهم وصلبوا رقابهم... وعصوا وتمرّدوا عليك وطرّحوا شريعتك وراء ظهورهم وقتلوا أنبيائك الذين أشهدوا عليهم ليردوهم إليك، وعملوا إهانة عظيمة^(٣).

وفي سفر إرميا قول إرميا عليه السلام - مخاطباً بني إسرائيل -: ها إنكم متكئون على كلام الكذب الذي لا ينفع، أنسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً... وتسيريون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها... فلم يسمعوا ولم يميلوا آذانهم بل ساروا في مشورات وعناد قلبهم الشرير وأعطوا القفا لا الوجه، فمن اليوم الذي خرج فيه آباؤكم من أرض مصر إلى

(١) سفر الملوك الثاني، إصحاح (١٧) ص (١١٤) (١٣ - ٢٠).

(٢) سفر نحemia، إصحاح (١) ص (٧، ٧د).

(٣) سفر نحemia، إصحاح (٩) ص (٧٦٧ - ٧٦٩) بتصرف (١ - ٢٧).

هذا اليوم أرسلت إليكم كل عبيدي الأنبياء مبكراً كل يوم ومرسلاً، فلم يسمعو لي ولم يميلوا أذنه. بل صلبوا رقابهم. أساؤا أكثر من آبائهم^(١).

وجاء في سفر المزامير قول داود ~~الملك~~ - عن بني إسرائيل -: وعبدوا أصنامهم فصارت لهم شركاً، وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان. وأهرقوا دماً زكياً دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم للأصنام. وتدنست الأرض بالدماء وتنجسوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم. فحمي غضب الرب على شعبه، وأسلمهم ليد الأمم وتسلط عليهم مبغضوهم^(٢).

ونصوص التوراة طافحة بالإخبار عن كفر بني إسرائيل وإشراكهم^(٣)، وأفعالهم القاسية، وغضب الرب عليهم. وتسليط الملوك عليهم لأجل ذلك^(٤).

وكتب اليهود تصرح بذلك. فقد قال شاهين مكاربوس^(٥)؛ وأصابهم - يعني بني إسرائيل - في مدة تيههم هذا أمور ومحن كثيرة يضيق بنا المقام عن استيفائهما. أخصها فناء الجيل الذي خرج من مصر لإرجلين فقط. وقيامهم على موسى وهارون أخيه يطلبون العودة إلى مصر وإطراحهم عبادة الله والاستعاضة منها بعبادة الأوثان. فنزلت بهم الضربات والأمراض... على أنهم كثيراً ما ارتدوا عن عبادة الله إلى عبادة الأصنام. وفي التوراة أن ذلك كان سبباً لتسلط الأجانب عليهم^(٦).

وعلى كل حال فالنصوص من كتب اليهود كثيرة في إثبات بغى وعصيان اليهود.

(١) سفر إرميا، إصحاح (٧) ص (١٠٨٤ - ١٠٨٥)، (٨ - ٢٦).

(٢) سفر المزامير مزمور (١٠٦) ص (٩٠٨). وقد ذكره ابن تيمية في الجواب الصحيح (٨٤/٣). وساق أقوالاً كثيرة لبعض أنبياء بني إسرائيل في تقرير ظلم وعدوان وبغى اليهود. ينظر: الجواب الصحيح (٨٤/٣) ٨٧ -.

(٣) يعترف بعض اليهود بذلك. قال سعيد كمنونة: وأهل زمان موسى كان مرضهم عبادة الأصنام والكواكب وغيرها. تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث ص (٤١).

(٤) ينظر مثلاً: سفر الملوك الأول، إصحاح (٩)، والملوك الثاني، إصحاح (١٧)، وأخبار الأيام الثاني، إصحاح (٧)، وسفر القضاة، إصحاح (٢، ٤، ٦، ٨، ١٠، ١٣)، وسفر صموئيل الأول، إصحاح (١٢)، وسفر عزرا، إصحاح (٥)، ونحميا، إصحاح (٧)، وإرميا، إصحاح (٢٩، ٢٧)، وغيرها كثير جداً.

(٥) هو شاهين بك مكاربوس. صحافي مؤرخ يهودي. ولد سنة (١٢٦٩هـ)، وتوفي سنة (١٣٢٨هـ). ينظر: معجم المطبوعات لسركيس (١٠٩٥)، ومعجم المؤلفين (٨٠٩/١).

(٦) تاريخ الإسرائيليين ص (١٧، ١٩). وهذا الكتاب نال الكثير من استحسان وثناء كبار اليهود وأعجابه به وبما فيه. وقد قرئ الكتاب من اليهود حاخام مصر روفائيل هارون بن شمعون والحاخام مسعود حاي بن شمعون. كما جاء ذلك في آخر الكتاب ص (٢٦٧ - ٢٧٠).

وقد ساق العلامة الهاشمي -رحمه الله- كثيراً من النصوص من كتبهم المقدسة على ذلك قال: فقد تضافرت شهادات أنبيائهم بالكفر والضلال وعبادة غير الله، ثم نقل بعض ما تقدم عن موسى عليه السلام، ثم قال: فقد أخبر الله تعالى عن اليهود بما أخبر، وشهد عليهم الصادق موسى بما شهد، وصدق الله ورسوله، وتعين علينا وعلى كافة عباد الله بغض اليهود ومقتهم وتكذيب أقوالهم ورد رواياتهم ثم قال: إنا لم نعتمد فيما نقلناه على تعليقات علمائنا ومؤلفاتهم حتى طالعنا توراة اليهود... ومزامير داود ونبوات الأنبياء مرة بعد أخرى، ونقلنا كما رأينا... وإن ما نقلناه من فضائهم قليل من كثير ويسير من خطير والله الموفق^(١).

وسوء موقف اليهود من موسى ومظاهر أذاهم له عليه السلام يكثر إحصاؤه، كما قاله العلامة ابن القيم^(٢) -رحمه الله-^(٣)، وأبرز هذه المظاهر العصيان والتمرد والتعنّت وكثرة السؤال، وهذه كلها مظاهر عرضها القرآن الكريم لنا، وسيأتي الكلام عنها تفصيلاً في الفصل الثاني إن شاء الله.

* * *

(١) التّخجيل (٥٧٨/٢ - ٥٧٩).

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، الإمام العلامة شمس الدين الشهير بابن القيم، ولد سنة ٦٩١ هـ، وتوفي سنة ٧٥١ هـ، ينظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٤٠٠/٢)، والشذرات (١٦٨/١)، والبدر الطالع (١٤٣/٢)، ومعجم المؤلفين (١٦٤/٣).

(٣) إغاثة اللهفان (٢٢٥/٢).

المبحث الثالث

بعض مظاهر أذى اليهود لموسى عليه السلام بعد وفاته

حفل تاريخ اليهود بعد وفاة موسى عليه السلام بسلسلة طويلة من الاختلاف والتمرد والعصيان، فقد ولي أمر اليهود بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون عليه السلام، وفي وقته واصل بنو إسرائيل خياناتهم، وتعديهم وعصيانهم. جاء في سفر يشوع: وخان بنو إسرائيل خيانة في الحرام... فحمني غضب الرب على بني إسرائيل... فقال الرب ليشوع: قد أخطأ إسرائيل بل تعدوا عهدي الذي أمرتهم به، بل أخذوا من الحرام بل سرقوا بل أنكروا بل وضعوا في أمتعتهم^(١).

وفي آخر أيام يشوع عليه السلام دعاهم ونصحهم وأوصاهم، إلا أنه كان يعلم أن بني إسرائيل شعب لا يستقر على شيء^(٢).

قال يشوع - مخاطباً بني إسرائيل في آخر حياته -: فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانة وانزعوا الآلهة الذين عبدكم أبائكم في عبر النهر وفي مصر، واعبدوا الرب، وإن ساء في أعينكم أن تعبدوا الرب فاختراروا لأنفسكم اليوم من تعبدون، إن كان الآلهة الذين عبدكم أبائكم الذين في عبر النهر، وإن كان آلهة الذين أنتم ساكنون في أرضهم، وأما أنا وبיתי فنعبد الرب^(٣).

وبعد وفاة يشوع عليه السلام بدأ دور القضاة - كما هو معلوم في تاريخ بني إسرائيل - وتحدثنا أسفار اليهود المقدسة عن تمرد اليهود على الشريعة - كما جاء في سفر القضاة -: وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم، وسجدوا لها وأغاظوا الرب^(٤).

(١) سفر يشوع، إصحاح (٧) ص (٣٤٦ - ٣٤٧)، (١١ - ١).

(٢) ينظر: اليهودية والمسيحية للأعظمي ص (٧٩).

(٣) سفر يشوع، إصحاح (٢٤)، وهو الأخير ص (٣٧٧)، (١٤ - ١٥).

(٤) سفر القضاة، إصحاح (٢١) ص (٣٨٢)، (١١ - ١٢).

قال د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي: فالله تعالى أقام فيهم رجلاً يدعوهم إلى شريعته، وكانوا يسمون القضاة، ولم يكن في بني إسرائيل ملوك في تلك الأيام. فكانت طاعة هؤلاء القضاة واجبة عليهم، إلا أنهم فعلاً لم يكونوا إلا مثل رؤساء القبائل البدوية، فتفرقت كلمة بني إسرائيل... وتستغرق هذه الفترة ٤٥٠ سنة على حساب سفر القضاة^(١).

ثم تتابعت الانحرافات عند اليهود وفشت بشكل كبير جداً ما بين تمرد وعصيان وشرك وكفر وظلم وعدوان.

وستتناول فيما يلي بعض الأمثلة للموقف السيئ لليهود من موسى بعد وفاته عليه السلام.
تلاعبهم بكتاب الله الذي نزل على موسى وهو التوراة.

أنعم الله ﷻ على بني إسرائيل بالتوراة، فيها هدى ونور، متضمنة العقيدة والشريعة. وقد أنزلها الله سبحانه على موسى رسوله إلى بني إسرائيل ليلزمهم بأحكامها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٢). وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ تَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُخْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣).

وفي سفر التثنية: وهذه الشريعة التي وضعها موسى لبني إسرائيل مع الفرائض والسنن والأحكام التي كلم بها موسى بني إسرائيل عند خروجهم من مصر^(٤).

قال ابن القيم: ولم يبذل موسى عليه السلام من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة^(٥).
وبين ابن القيم أن هذه السورة مشتملة على ذم طبائعهم. وأنهم سيخالفون شرائع

(١) اليهودية والمسيحية ص (٨٢).

(٢) سورة البقرة، الآية (٥٣).

(٣) سورة المائدة، الآية (٤٤).

(٤) سفر التثنية، إصحاح (٤/٤٥ - ٤٦) ص (٢٨٦).

(٥) إغاثة اللفهان (٢/٣٢٥).

التوراة. وأن السخط يأتيهم بعد ذلك، وتخرب ديارهم. ويسبون في البلاد، فهي كالشاهد عليهم^(١).

والتوراة في الأساس - كغيرها من كتب الله - تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له. ونبذ ما سواه. فأول الكلمات العشر التي أنزلها الله على موسى: أنا الله لا إله إلا أنا إلهك الذي أخرجتك من أرض مصر من التعبد، لا يكون لك إله غيري. لا تتخذ صوراً وتمثالاً...^(٢).

فالتوراة المنزلة وغيرها من الكتب تدعو إلى عبادة الله وحده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فدين الأنبياء والمرسلين دين واحد، وإن كان لكل من التوراة والإنجيل والقرآن شرعة ومنهاجاً^(٣).

ولقد آمن من قوم موسى أمة اتبعت ما أنزل الله ﷻ في التوراة. وعملت بما شرع لهم فيها. وسارعوا في الخيرات. يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر. وقد مدحهم الله ﷻ وأثنى عليهم. بقوله تعالى: ﴿مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾^(٤) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ^(٥).

لكن هذا المدح والثناء الذي ألحقه سبحانه بهم في القرآن الكريم ليس مدحاً مطلقاً لجميع أهل الكتاب، إذ أن ذلك ما كان إلا لمن استقام منهم وأطاع ربه، وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ﴾ أي بعضهم فأصبح الثناء مقيداً بحال طاعتهم كما تضمن القرآن الكريم ذم غيرهم الذين عصوا وفسقوا عن أمر الله، وحمل عليهم حداً رهيباً من التقريع والتنديد كقوله تعالى فيهم: ﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِمُشْرِكِينَ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا

(١) المصدر السابق (٢٦٦/٢). وينظر: منهج ابن القيم في دراسة عقائد اليهود لمجدي أبو عويمر ص (٨١) -

(٨٣). ضمن مجلة الحكمة. عدد (١٨). ص ٤٢٠هـ.

(٢) ينظر سفر التثنية، إصحاح (٤/٤٦ - ٤٦) ص (٢٨٦)، سفر الخروج، إصحاح (٢٨/٣٤) ص (١٤٥).

(٣) الجواب الصحيح (٦٦/١).

(٤) سورة آل عمران، الايتان (١١٢ - ١١٤).

وليس هدف البحث التفصيل في مسألة إثبات تحريف اليهود للتوراة، وإيراد الأدلة على ذلك، فهذا أمر قد أشبعته الكثير من البحوث والدراسات المتخصصة، ولكن المراد الإشارة إلى أن اليهود لم يعظموا كتاب نبيهم، ولم يراعوا حرمة، ولم يحافظوا عليه، بل تلاعبوا به، وزادوا وحذفوا، وكتبوا كثيراً مما أنزله الله على موسى عليه السلام.

(١) سورة المائدة، الآية (٦٠).

(٣) سورة البقرة. الآية (٧٥).

(٤) سورة النساء، الآية {٤٦}.

(د) سورة المائدة. الآية (٤١).

موقف اليهود من موسى ^{عليه السلام}: (دراسة عقديّة)

ويهمنا هنا أن نقرر أن التوراة الحالية، ليست بعينها الكتاب الذي نزل على موسى **الطاهر**، "وكلام موسى **الطاهر** أرفع قدراً من أن يكون كما في التوراة الموجودة"^(١). ولنلق نظرة على مراحل تدوين التوراة، ليتضح أن موسى **الطاهر** بريء من إثبات نصوصها إليه، فإن من المجمع عليه عند علماء اليهود أن التوراة كانت في أول الأمر جزءاً، ولما قام أحبار اليهود بترجمتها إلى اليونانية عام ٢٨٤ ق.م، قسموها إلى خمسة أجزاء ثم جعلوا فيها الإصحاحات والفصول والنقاط.

وقد حصل أول تدمير للتوراة عام ٩٤٥ ق.م^(٢)، وبقيت التوراة ضائعة إلى بداية القرن ٧ ق.م. حين وجد الكاهن حلقياً سفر الشريعة في الهيكل^(٣). وكان ذلك في حدود سنة ٢٣ ق.م. ومعلوم أن نسخ التوراة لم تكن كثيرة في تلك العصور. إنما كانت نسخة وحيدة، وكانت موضوعة في الهيكل، فما هي النسخة التي وجدها حلقياً بعد ٣٠٠ سنة تقريباً؟ ومن الذي قارنها بأنها توراة موسى؟ إذ لم يبق أحد ممن سمع التوراة من موسى وأولاده.

ثم حصل تهديم وإغارات من بعض الملوك على اليهود في القرن ٦ ق.م. وهُدم بيت المقدس، وأزيلت آثاره، وسبق اليهود سبائاً إلى بابل. ثم لما نجا اليهود فيما بعد من حكم ملك بابل ورجعوا إلى بيت المقدس، اجتمعوا لتدوين التوراة من جديد وكان لعزرا الكاهن حظ وافر من هذا العمل، فقرأ جميع الكتب المؤلفة قبله، واستعان بالنبي نحemia، ويقال بل أعاد تدوين التوراة من حفظه.

قال ابن حزم: وكان كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس، وكتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم ويصلحها إلا بعد نحو أربعين عاماً

= أنزلها الله على موسى، ثم لحقها الزيادة والنقصان واختلاف الترجمة، واختلاف التأويل والتفسير. ينظر: إغائنة اللهمان لابن القيم (٣٢٦/٢ - ٣٢٩)، والجواب الصحيح (٣٦٧/١).

(١) من إظهار الحق لرحمة الله الهندي (١٢٠/١).

(٢) ينظر: سفر الملوك الأول، أصحاح ٢٥/١٤ - ٢٦ ص (٥٦٢).

(٣) ينظر: سفر الملوك الثاني، أصحاح ٨/١٣ - ١١ ص (٦٢٦).

من رجوعهم إلى البيت بعد السبعين عاماً التي كانوا فيها خاليين، ولم يكن فيهم حينئذ نبي أصلاً، ولا القبة ولا التابوت^(١).

ثم ضاعت التوراة مرة ثالثة عام ١٧٠ ق.م لما أغار أحد ملوك أنطاكيا على بيت المقدس، وهدم الهيكل، وحرق جميع ما فيه من الكتب والآثار. وكان الجنود يفتشون البيوت فإن عثروا على نسخ من التوراة أحرقوها وقتلوا صاحبها، حتى قضوا على جميع نسخ التوراة.

ثم حصل التدمير الرابع للتوراة في حدود عام ٨٠٠ ق.م، وقتل من اليهود مليون شخص. ثم حصل التدمير الخامس سنة ٧٠ ق.م، وقتل من اليهود حوالي نصف مليون شخص. ثم حصل التدمير السادس عام ٤٠٠ ق.م، وأُتلفت فيه جميع الكتب والوثائق، وفي عام ٦٦٢ م حصل التدمير السابع حين قتل شاه إيران أكثر من تسعين ألفاً من اليهود، وهدم جميع الأماكن المقدسة، وأحرق الكتب والصحف.

تلك هي قصة تورا اليهود التي كانت لعبة في أيدي الغزاة والفاثحين، كما كانت دمية في أيدي اليهود أنفسهم بحيث كانوا يحرقون منها ما يشاؤون ويثبتون فيها ما يشاؤون. وبهذا انتهى تواتر التوراة التي بأيدي اليهود والنصارى^(٢)، ويتضح حقيقتها وأنها ليست من كلام الله، وأن موسى بريء منها، وأن كاتبها الحقيقي هو عزرا. وفي التوراة ما يصرح بأنه كاتبها^(٣).

واليهود يعترفون بأن مؤلف التوراة ليس موسى، قال باروخ سبينوزا - وهو أحد مفكري اليهود -: أنا لن أخشى توضيح الحقيقة وإظهارها ناصحاً وأقول: إن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة، بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمان طويل، وإن موسى كتب سفرًا مختلفاً... ثم عرض لأسفار يشوع والقضاة والملوك ثم قال: وبذلك تنتهي إلى أن كل الأسفار التي عرضنا لها قد كتبها مؤلفون آخرون غير الذين تحمل هذه الأسفار أسماءهم^(٤).

(١) الفصل (١٩٧/١).

(٢) ينظر: اليهودية والمسيحية للأعظمي (١٦٣ - ١٦٩) بتصرف.

(٣) ينظر: سفر عزرا، إصحاح (٧ - ٦/٧) ص (٧٤٧)، وسفر نحميا، إصحاح (٦ - ٢/٨) ص (٧٦٦).

(٤) رسالة في اللاهوت والسياسة ص (٢٦٦ - ٢٦٧)، وأسبينوزا فيلسوف يهودي، ولد سنة (١٦٣٢ م)، في أمستردام، وتوفي سنة (١٦٧٧ م)، ينظر مقال: أسبينوزا وفضيحة عصره لهاشم صالح، جريدة الشرق الأوسط، عدد (٨٦٤٨)، سنة (٢٠٠٢ م).

وقال أحد فلاسفة اليهود - وهو داكوستا - : لقد ارتابني الشك مؤخراً في أن الأسفار الخمسة كتاب الله حقيقة، لأنه توجد كثير من القرائن التي تقوي هذا الشك، وكثير جداً من الدلائل التي تجبر على اعتناق نقيض هذه الفكرة. وفي النهاية تيقنت أن تلك التوراة ليست إلهية المصدر، بل هي مجرد ابتكار بشري كغيره من آلاف الابتكارات البشرية التي بين أيدينا، وذلك لأن الله خالق القوانين الطبيعية يستحيل أن يوحى إلى البشر بكتاب يناقض تلك القوانين^(١).

ويقرر السموأل^(٢) - وقد كان يهودياً ثم أسلم - أن علماء وأحبار اليهود يعلمون أن التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها التوراة المنزلّة على موسى ألبتة^(٣).

ويذكر ابن القيم إقرار اليهود أنفسهم بأن سبعين كاهناً منهم اتفقوا على التبدّل في التوراة، قال: واليهود تقرر أن السبعين كاهناً اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفاً في التوراة، وذلك بعد المسيح في عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم، حيث زال الملك عنهم ولم يبق لهم ملك يخافونه ويأخذ على أيديهم^(٤). ولم يقف اليهود في تعاملهم مع شريعة موسى عند حد التلاعب في التوراة وتحريفها، بل إنهم تركوا كثيراً من الشرائع التي ما زالت في التوراة بعد تحريفها، قال

(١) نقله عبد الرّاضي محمد عبد المحسن في كتابه المعتقدات الدينية لدى الغرب ص (١٢٦)، وداكوستا هو أوريل داكوستا ويسمى أيضاً «داكوستا» في البرتغال، وأجبر والده على اعتناق النصرانية ثم عاد إلى اليهودية، وحصلت له محن مع حاخامات اليهود بسبب اعتراضه على كثير من شرائع اليهود، ثم ضاقت به الحياة وسئم العيش فيها، وانتحر بإطلاق الرصاص على رأسه سنة (١٦٤٠م)، ينظر: مقال جعفر هادي حسين، أوريل داكوستا ومحنه مع الحاخامين من خلال سيرته الذاتية، جريدة الحوار المتعدد، عدد (١٩٧٨)، سنة (٢٠٠٧م).

(٢) هو السموأل بن يحيى خبّاس المغربي، أبو نصر، طبيب مشارك في أنواع من العلوم، كان يهودياً ثم أسلم، توفي سنة ٧٠٠ هـ، ينظر: الوافي بالوفيات (١٦٦/١٣)، ومعجم المؤلفين (٨٠٠/١).

(٣) إفحام اليهود ص (١٣٥).

(٤) هداية البحارى ص (٢٠١)، وينظر: إظهار الحق (٢/٦٨، ٤٧٢، ٤٧٥ - ٤٨١)، والعقائد السلفية لبوطامي ص (٢٢٤).

ابن القيم: وقد تضمنت التوراة أوامر كثيرة جداً. واليهود مجمعون على تعطيلها والغائها باجتهاد علمائهم.

وبين - رحمه الله - أنهم اتفقوا على تعطيل الرجم للزاني. وهو نص التوراة^(١). واستدل شيخ الإسلام ابن تيمية على ذلك بما في الصحيح عن البراء بن عازب قال: مرّ على النبي ﷺ يهودي مُحَمَّمًا مجلوداً فدعاهم ﷺ فقال: "هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟" قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم فقال: "أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟" قال: لا ولولا أنك نشدنتني بهذا لم أخبرك. نجده الرجم. ولكنه كثر في أشرفنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإن أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد^(٢).

وجاء في الصحيح عن ابن عمر ؓ أن رسول الله ﷺ أتى يهودية ويهودية قد زنيا. فانطلق ﷺ حتى جاء يهود فقال: "ما تجدون في التوراة على من زنى؟" قالوا: نسوّد وجوههما ونحملهما ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما. قال: "فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين. فجاؤوا بها فقرؤوها. حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى - الذي يقرأ يده على آية الرجم. وقرأ ما بين يديها وما وراءها. فقال له عبد الله بن سلام - وهو مع رسول الله ﷺ - مرّه فليرفع يده، فرفعها. فإذا تحتها آية الرجم. فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما^(٣).

ومن أمثلة تعطيلهم لشريعة موسى ﷺ في بعض العبادات ما يقولونه في صلاتهم ما ترجمته: اللهم اضرب ببوق عظيم ليفننا. واقتبضنا جميعاً من أربعة أقطار الأرض إلى قدسك. سبحانه يا جامع شتات قوم إسرائيل. ويقولون كل يوم - ما ترجمته هكذا - : أردد حكمانا كالأولين. ومسرراتنا كالأبتداء. وابن أورشليم قرية قدسك في أيامنا. وأعزنا بابتنائناها. سبحانه يا أورشليم. فهذا قولهم في صلاتهم مع علمهم بأن موسى وهارون لم يقولوا شيئاً من ذلك. وكذلك صيامهم. كصوم إحراق بيت المقدس

(١) إغاثة اللامهان (٢/٣٢٨).

(٢) صحيح مسلم (١٧٠٠). واستدلال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٩١).

(٣) صحيح مسلم (١٦٩٩).

وغيره. جعلوه فرضاً. ولم يصمه موسى ولا يوشع بن نون. ليس شيء من ذلك في التوراة. وإنما وضعوه لأسباب اقتضت وضعها عندهم^(١).

وقد عرض السموأل هذه الأمر في سياق سؤال وجهه لليهود. قال: نقول لهم: ما تقولون في صلواتكم وأصوامكم؟ فهل هي التي فارقكم عليها موسى عليه السلام؟ فإن قالوا: نعم. قلنا: فهل كان موسى عليه السلام وأمنته يقولون في صلواتهم كما تقولون؟ ثم ذكر نحو ما تقدم ثم قال: هذه فصول شاهدة بأنكم لفقتموها بعد موسى عليه السلام^(٢).

ومن المظاهر التي تبرز تلاعبهم بأوامر الله: عبادتهم للأصنام والأحجار والمعادن^(٣). قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - - مبيناً أن النهي عن عبادة غير الله مما نهى عنه جميع الأنبياء بما فيهم موسى عليه السلام - : وهذا الذي نهى عنه النبي ﷺ من هذا الشرك - يعني زيارة الأنبياء والصالحين للتوسل أو سؤال الله بهم أو سؤال الله عندهم - هو كذلك في شرائع غيره من الأنبياء. ففي التوراة أن موسى عليه السلام نهى بني إسرائيل عن دعاء الأموات. وغير ذلك من الشرك^(٤).

فيتضح أن اليهود يعطلون كثيراً من نصوص وأحكام التوراة. وهذا أمر يعترف به بعض اليهود. فقد قرر الكاتب اليهودي نفتالي فيدر أن في اليهود من يتجاهل نصوص التوراة ويلغيها^(٥). وقرر أن في العبادات اليهودية شعائر كثيرة قد هجرت^(٦). واعترف بوقوع تأثيرات أجنبية كثيرة في الديانة الأصلية لليهود. على الرغم من أن التوراة تنهى عن ذلك^(٧).

(١) ينظر: إغاثة اللفهان (٢/٢٢٧)، وهداية الحيارى (١٠٩ - ١١٠).

(٢) إفحام اليهود ص (٩٦ - ٩٨) يتصرف.

(٣) والنصوص من كتبهم في تقرير ذلك كثيرة. ينظر: سفر أرميا. إصحاح (٤/٢). وسفر القضاة. إصحاح (٨ - ٥/٣). وسفر إشعيا. إصحاح (٤٤/٦ - ٢٠). وسفر الخروج. إصحاح (٣٢) (١ - ٥). وسفر العدد. إصحاح (٨/٢١ - ٩). والملوك الثاني. إصحاح (٣/١٨ - ٤). وإصحاح (٣/٢١ - ٥). وإصحاح (٢٣/٥). وأرميا. إصحاح (٢/٨). ومزامير داود. مزمو (١٢١/٥ - ٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٧/١). وينظر من التوراة سفر التثنية. إصحاح (٩/٢٨ - ١٢).

(٥) التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية. ترجمة محمد سالم الجرح ص (٥٦ - ٥٧).

(٦) المصدر السابق ص (٣٧).

(٧) المصدر السابق ص (٦٣، ١١).

ويقدر أحد اليهود - الذين هداهم الله للإسلام - أن من ضمن الأسباب لتركه الديانة اليهودية أن جماعة اليهود يعملون بغير التوراة. قال الحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي: اعلما يا أقربائي وبني جنسي أنني أخبركم أن الذي حملني بعد ذلك على أن أتبع هذا النبي الجليل محمداً ﷺ هو كوني نظرت أن جماعة اليهود عن بكرة أبيهم في كل مصر ومكان هم عاثشون بغير شريعة التوراة. ولا عاملون بأحكامها اللازمة^(١). وقرر أيضاً أن أعمال اليهود ليست من شرع موسى، بل هو عارٍ منها وبريء. قال: وكيف أنسب نفسي إلى أنني يهودي وتحت شريعة موسى ﷺ والتوراة، وأنا عارٍ منهما وبريء. وهما بعيدان عني بعداً كبعد السماء من الأرض^(٢).

فيتبين أن اليهود عطلوا كثيراً من شريعة موسى ﷺ وتمسكوا بما شرعه أحبارهم^(٣).

والناظر في مناهج اليهود ومؤلفاتهم يلحظ أنهم يفضلون ويقدمون الأخبار والكهان أكثر من الأنبياء، تقول التوراة: عندما يتعثر الكاهن يتعثر النبي تبعاً له^(٤). وجاء في سفر أرميا: من صغيرهم إلى كبيرهم كل منهم مولع بالربح. ومن النبي إلى الكاهن كل منهم يعمل بالكذب^(٥). فجاء النص بالنبي في مقابل صغيرهم. وبالكاهن في مقابل كبيرهم^(٦).

(١) الرسالة السبعية الحاوية للضوابط الإرشادية، ط ملحقة مع إفحام اليهود ص (١٧١)، ط أخرى بتحقيق عبد الوهاب طويلة ص (٢٨).

(٢) المصدر السابق ص (١٧٨)، ط طويلة ص (٦٠).

(٣) ينظر: إغاثة اللهفان (٢٣٩/٢).

(٤) سفر هوشع، إصحاح (٤/٤ - د) ص (١٢٨٩).

(٥) سفر أرميا، إصحاح (٣/٦)، ونحوه إشعيا، إصحاح (١٤/٩).

(٦) حول تاريخ أنبياء بني إسرائيل لسبغال (٣١)، وينظر: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (١٤٤/١٠).

وفي التلمود^(١): اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء^(٢). بل هي أرفع من ذلك، فهي أفضل من أوامر الإله نفسه، قالوا: إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الإله^(٣).

وقد زعموا أنه وقع يوماً اختلاف بين البارئ تعالى وبين علماء اليهود في مسألة ما. وبعد أن طال الجدل تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات، واضطر الإله أن يعترف بغلظه بعد حكم الحاخام المذكور^(٤).

ويعترفون جهاراً بسمو منزلة التلمود أكثر من كتاب الشريعة الموسوية^(٥). يقولون: من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس التلمود فعل أعظم فضيلة يستحق المكافأة عليها^(٦). ومن يشتم الله والأنبياء يؤدب، ومن شتم الأخبار يقتل^(٧).

(١) كلمة التلمود مستخرجة من كلمة لامودا التي تعني: التعاليم، وأصلها عبري وهو بمعنى تعليم، فهو الكتاب الذي يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودي وتعاليمه، ويزعم بعض اليهود أن مؤلفه الأول موسى عليه السلام، وينقسم إلى قسمين: المشناه وهو الأصل والجزء الرئيسي أو المتن، والجمارا وهو شرح للمشناه وتفسير لها ويسمونه القانون الشفهي، ينظر: فضائح التلمود لبرانانس ص (٢١). وقاموس الكتاب المقدس لمجموعة من النصارى (٢٢٢) ويعترف اليهود بأن كاتب التلمود غير موسى، قال موسى بن ميمون: لم يتفق أحد منذ أيام معلمنا موسى على أية عقيدة من العقائد التي كانت تدرس علانية باسم القانون الشفهي، بل كان رئيس محكمة كل جيل يضع مذكرة عما سمعه لينقلها شفهيّاً إلى شعبه، وهكذا ألف كل فرد من العلماء كتاباً مماثلاً ليستفاد منه. حسب درجة كفاءته إلى أن أتى حاخامنا المقدس يهوذا هاناس وشرح القانون المروي عن موسى المأمور به في كل جيل. ينظر: التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان ص (١٢).

وقال السموال - عن مصنف التلمود -: إنهم كذابون على الله تعالى وعلى موسى النبي، إفحام اليهود ص (١٧١). وينظر: تاريخ الإسرائيليين لمكاريوس ص (١١٣ - ١١٤).

(٢) الكنز المرصود ص (٤٤ - ٤٥).

(٣) المصدر السابق (٤٦).

(٤) المصدر السابق ص (٤٧).

(٥) همجية التعاليم الصهيونية لبولس حنا ص (٩٤)، واليهودية والمسيحية للأعظمي (٢٠٢).

(٦) الكنز المرصود ص (٥٠).

(٧) الكنز المرصود ص (٤٤). وينظر: الفصل لابن حزم (٣٢٥/١)، والقراءون لمراد فرج ص (٦٣).

الفصل الثاني: موقف اليهود من موسى عليه السلام من خلال القرآن والسنة:

عرض لنا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كثيراً من مظاهر أذى اليهود لكليم الله ﷺ. وقد تنوعت مظاهر هذا الأذى، بين عصيان وتمرد وتعنت، وسخرية وشتم وقذف وعيب ونحو ذلك.

وقبل أن نعرض لهذه المظاهر ينبغي أن نوضح أن لم يكن كل بني إسرائيل قد أذوا موسى عليه السلام، بل فيهم قوم صالحون، يطلبون الحق ويهتدون به، وقد بين لنا القرآن الكريم ذلك، فقال ﷺ: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(١). قال العلامة الشوكاني^(٢): لما قص الله علينا ما وقع من السامري وأصحابه وما حصل من بني إسرائيل من التزلزل في الدين، قص علينا سبحانه أن من قوم موسى أمة مخالفة لأولئك الذين تقدم ذكرهم، ووصفهم بأنهم يهدون بالحق، أي يدعون الناس إلى الهداية حال كونهم متلبسين بالحق. وبه - أي بالحق - يعدلون: بين الناس في الحكم^(٣).

وقال العلامة ابن كثير^(٤) - في تفسير الآية -: يقول تعالى مخبراً عن بني إسرائيل -: إن منهم طائفة يتبعون الحق ويعدلون به، كما قال تعالى: ﴿مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾^(٥). وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٦). وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ

(١) سورة الأعراف، الآية (١٥٩).

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن، الشيخ العلامة أبو عبد الله الشوكاني الصنعاني، ولد سنة (١١٧٣هـ)، وتوفي سنة (١٢٥٠هـ). ينظر: البدر الطالع (٢/٢١٤)، وهدية العارفين (٢/٣٦٥)، والمجددون في الإسلام للصعدي (٤٧٣)، ومعجم المؤلفين (٤/٥٤٧).

(٣) تفسير الشوكاني - فتح القدير - (٢/٢٦٨)، ونحوه في تفسير الغرناطي (٢/٩٣).

(٤) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع، الشيخ العلامة عماد الدين أبو الفداء، ولد سنة (٧٠٠هـ)، وتوفي سنة (٧٧٤هـ). ينظر: الدرر الكامنة (١/٣٧٣)، والشذرات (٦/٢٣١)، ومعجم المؤلفين (١/٣٧٣).

(٥) سورة آل عمران، الآية (١١٣).

(٦) سورة آل عمران، الآية (١٩٩).

مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالَ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (٢١/٢).

وقد قرر القرآن الكريم أذى اليهود لموسى عليه السلام، وعرض كثيراً من مظاهر هذا الأذى. فأما تقرير الأذى فقد جاء في قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ (١٤).

"فَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ قَوْمٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (٥١): قال مقاتل (١): وعظ الله المؤمنين أن لا يؤذوا محمداً ﷺ كما أذى بنو إسرائيل موسى (٧).

وقال الطبري - في تفسير الآية -: ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبي الله فرموه بعيب كذباً باطلاً، فبرأه الله مما قالوا فيه من الكذب والزور بما أظهر الله من البرهان على كذبهم. ثم ذكر - رحمه الله - اختلاف أهل التأويل في الأذى الذي أودى به موسى. فقال

(١) سورة القصص. الآية (٢٢).

(٢) سورة البقرة. الآية (١٢١).

(٣) تفسير ابن كثير (٤٢١/٦)، وينظر: تفسير ابن عطية (١٠٩/٦). وفي الآية أقوال أخرى عرض لها العلماء ومنها: أنهم الذين آمنوا بنبينا محمداً ﷺ من أهل الكتاب. وقيل: هم قوم من بني إسرائيل تمسكوا بشرع موسى قبل نسخه، ولم يبدلوا ولم يقتلوا الأنبياء. ينظر: تفسير الرازي (٣١/١٥)، وتفسير القرطبي (٣٥٩/٩)، وتفسير الماوردي (٢٦٤/٢)، وتفسير البغوي (٢٩٠/٢ - ٢٩١)، وتفسير ابن الجوزي (٢٧٤/٣ - ٢٧٥).

وجاء في أثر عن علي بن أبي طالب < قوله: افتقرت بنو إسرائيل بعد موسى إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة ناجية وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَدْعُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْتَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]. ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٥٨٧/٤ - ١٥٨٨)، وتفسير السيوطي (٦٢٩/٦).

(٤) سورة الأحزاب. الآية (٦٩).

(د) من تفسير ابن عطية (١٢٣/١٢).

(٦) هو مقاتل بن سليمان كبير المفسرين أبو الحسن البلخي. فيه ضعف. قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة. وكان يقول بالتشبيه. توفي سنة نيف وخمسين ومئة. ينظر: الجرح والتعديل (٣٥٤/٨)، ووفيات الأعيان (٢٥٥/د)، والسير (٢٠١/٧)، والشذرات (٢٢٧/١).

(٧) نقله الشوكاني في تفسيره (٢٩٨/٤).

بعضهم: رموه بأنه أدر^(١)، وقال آخرون: هو أبرص، وقال آخرون: ادعائهم عليه قتل هارون ~~عليه السلام~~ ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أنه يقال: إن بني إسرائيل آذوا نبي الله ببعض ما كان يكره أن يؤدي به، فبرأه الله مما آذوه به، وجائز أن يكون ذلك ما ذكر أنهم قالوا: إنه أدر. وجائز أن يكون: كان قيلهم: إنه أبرص، وجائز أن يكون كان ادعائهم عليه قتل أخيه هارون. وجائز أن يكون كل ذلك، لأنه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله أنهم آذوا موسى. فبرأه الله مما قالوا^(٢).

وقال ابن كثير - عقيب نقله كلام الطبري -: يحتمل أن يكون الكل مراداً، وأن يكون معه غيره، والله أعلم^(٣).

ونحوه قاله القرطبي^(٤) - رحمه الله -^(٥).

قال الحافظ ابن حجر^(٦) - بعد بيانه لنزول الآية في قصة الاغتسال -: وروي أن الآية المذكورة نزلت في طعن بني إسرائيل على موسى بسبب هارون، لأنه توجه معه إلى زيارة فمات هارون، فدفنه موسى، فطعن فيه بعض بني إسرائيل وقالوا: أنت قتلتها، فبرأه الله تعالى بأن رفع لهم جسد هارون وهو ميت، فخاطبهم بأنه مات، وفي الإسناد ضعف.

(١) الأدر: انتفاخ في إحدى الخصيتين، أو من يصيبه فتق فيها. ينظر: القاموس المحيط أدر ص (٤٣٧).

وتهذيب اللغة (١٤/١٥٦)، والصحاح (٢/٧٧٧د).

(٢) تفسير الطبري (١٩/١٩٤ - ١٩٥).

(٣) تفسير ابن كثير (١١/٢٤٨).

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الشيخ العلامة أبو عبد الله الخزرجي القرطبي المالكي، توفي سنة (٦٧١هـ). ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (٢٨)، والشذرات (٥/٣٣٢)، ومعجم المؤلفين (٣/٥٢٢).

(٥) تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٤٢)، ينظر: تفسير الماوردي (٣/٣٤١ - ٣٤٢)، وتفسير الثعالبي (٣/٢٣٨)، وتفسير البغوي (٦/٣٧٩)، وتفسير ابن الجوزي (٦/٤٢٣)، وتفسير العز بن عبد السلام (٢/١٩٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣/١٥٧د).

(٦) هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد، الشيخ العلامة الكبير شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني، ولد سنة (٧٧٣هـ)، وتوفي سنة (٨٥٢هـ). ينظر: الضوء اللامع للسخاوي (٢/٣٦)، والبدر الطالع (١/٨٧)، والشذرات (٧/٢٧٠).

ولو ثبت لم يكن فيه ما يمنع أن يكون في الفريقين معاً. لصدق أن كلا منهما أذى موسى فبرأه الله مما قالوا. والله أعلم^(١).

وجاء تقرير الأذى من اليهود لموسى أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُنْقِزُكُمْ ثُمَّ تُؤَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢). قال الطبري: يقول موسى لقومه: لم تؤذونني وقد تعلمون حقاً أنني رسول الله إليكم^(٣).

قال العلامة ابن جزي الغرناطي^(٤): كانوا يؤذونه بسوء الكلام وبعضيانه وتنقيصه^(٥). وقال الثعالبي^(٦): بتعنيتم وعصيانكم واقتراحاتكم^(٧). وهذه كانت أفعال بني إسرائيل^(٨).

وقد أذى بنو إسرائيل موسى كل الأذية بالمخالفة والعصيان فيما أمرهم به^(٩). ومعنى: ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾^(١٠) في موضع الحال. أي تؤذونني عالمين علماً قطعياً أنني رسول الله. وقضية علمكم بذلك موجبة للتعظيم والتوقير^(١١).

(١) فتح الباري (٤٣٨/٦).

(٢) سورة الصف، الآية (د).

(٣) تفسير الطبري (٦١٢/٢٢).

(٤) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى، الشيخ العلامة أبو القاسم الكلبي الغرناطي، ولد سنة (٦٩٣هـ)، وتوفي سنة (٧٤١هـ). ينظر: الدرر الكامنة (٣٥٦/٢)، ونفح الطيب للمقري (٢٧٠/٣)، ومعجم المؤلفين (١٠٣/٣).

(٥) تفسير الغرناطي - التسهيل لعلوم التنزيل - (٢١٧/٤).

(٦) هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، العلامة أبو زيد، ولد سنة (٧٨٥هـ)، وتوفي سنة (٨٧٥هـ). ينظر: الضوء اللامع (١٥٢/٤)، ومعجم المؤلفين (١٢٢/٢).

(٧) تفسير الثعالبي - الجواهر الحسان - (٢٩٦/٤).

(٨) من تفسير ابن عطية (٤٢٧/١٤).

(٩) ينظر: تفسير أبي السعود (٢٢٢/د)، وتفسير ابن عاشور (١٧٧/٢٨).

(١٠) سورة الصف، الآية (د).

(١١) ينظر: تفسير الرازي (٣١٢/٢٩)، وتفسير البغوي (١٠٨/٨)، وتفسير القاسمي (٥٧٨٦/١٦)، وتفسير ابن سعدي (٧٩٦).

قال ابن كثير: وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الضار من قومه وغيرهم. وأمر له بالصبر. ولهذا قال: "رحمة الله على موسى، لقد أودى بأكثر من هذا فصبر"^(١).

وقد وضع الأئمة والمفسرون الأذية في الآية بأمور عديدة، سيأتي إيرادها ضمن المباحث القادمة.

* * *

(١) تفسير ابن كثير (١٣/٤٤٤ - ٤٤٥ د). ونقله القاسمي في تفسيره (١٦/٧٨٦ د). والحديث في صحيح البخاري رقم (٤٣٣٦، ٤٣٣٧). عن ابن مسعود ؓ.

المبحث الأول: العصيان والتمرد والتضجر والتعنت والتكذيب:

دأب اليهود على كثير من أنواع الخُلُق المذمومة في التعامل مع أركى البشر الأنبياء -عليهم السلام-. ومن هذه الأنواع: كثرة عصيانهم لأنبيائهم وتمردهم عليهم وتضجرهم وتعنتهم وتكذيبهم. وقد كان لكبير الأنبياء - عندهم - نبي الله موسى عليه السلام النصيب الوافر من هذه المعاملة المذمومة، فقد عصوه كثيراً، وتمردوا عليه، وكانوا كثيراً ما يتضجرون منه ومن أوامره، وتعنتوا في أسئلتهم له، بل وصل الأمر عند بعضهم إلى تكذيبه، وسنعرض فيما يلي لبعض ما جاء في القرآن والسنة من هذه المعاملة السيئة لكليم الله موسى عليه السلام.

فمن عصيان اليهود - قبحهم الله - ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَزَعَفْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴿١﴾.

قال الطبري: خبر من الله عن اليهود الذين أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما في التوراة وأن يطيعوا الله فيما يسمعون منها، أنهم قالوا حين قال لهم ذلك: سمعنا قولك، وعصينا أمرك (٢).

وقال الشوكاني: هو على بابيه وفي معناه، أي سمعنا قولك بحاسة السمع وعصيناك، أي لا نقبل ما تأمرنا به، ويجوز أن يكون أرادوا بقولهم: ﴿سَمِعْنَا﴾ ما هو معهود من تلاعبهم واستعمالهم المغالطة في مخاطبة أنبيائهم (٣).

وقال ابن عطية (٤): نطقوا بهذه الألفاظ مبالغة في التعنت والمعصية (٥).

(١) سورة البقرة، الآية (٩٣).

(٢) تفسير الطبري (٢/٢٦٢).

(٣) تفسير الشوكاني (١/١٧٨).

(٤) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام. الشيخ العلامة أبو محمد الأندلسي المالكي. الشهير بابن عطية. ولد سنة (٤٨١هـ)، وتوفي سنة (٤١١هـ)، وقيل سنة (٤١٦هـ). ينظر: بغية الوعاة (٢٩٥)، والدياج لابن فرحون (١٧٤)، ومعجم المؤلفين (٢/٥٩).

(٥) تفسير ابن عطية - المحرر الوجيز - (١/٣٩٧).

وقد كرر الله في القرآن بعض معاصي اليهود، فذكر قولهم سمعنا وعصينا بعد الخبر عن عبادتهم العجل، ولهذا التكرار - كما قاله العلامة ابن بدران^(١) - فوائد منها أن هذا وأمثاله للتأكيد وإيجاب الحجة على الخصم على عادة العرب، ومنها أنه تعالى ذكر ذلك مع زيادة وهي قولهم سمعنا وعصينا، وذلك يدل على نهاية لجأهم، ويظهر لي وجه رابع، وهو أن التكرار هنا للتبكيك والتقريع، على حد لو أن إنساناً فعل أمراً منكراً ما كان من حقه أن يفعله، ثم إنه أصر على خطئه عناداً، فإن الموبخ له لا يزال يذكره بفعله، كلما أصر على عناده، ليكون ضميره موبخاً له، وملجئاً له إلى الرجوع عن غيه، وأيضاً فإن في قصة الطور ذكر توليهم عما أمروا به من قبول التوراة، وعدم رضائهم بأحكامها اختیاراً، حتى ألجئوا إلى القبول اضطراراً، فدعواهم الإيمان بما أنزل عليهم غير مقبولة، ومن أسرار هذا التكرار أيضاً تذكارهم بتعداد نعم الله عليهم، وتقمة منهم، ليزدجر الأخلاف بما حل بالأسلاف^(٢).

ومن أعظم عصيان اليهود ما جاء في جينهم وتخاذلهم ورفضهم قتال الجبارين مع موسى عليه السلام لما أمرهم بذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿يَنْقُورِ أَذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿قَالُوا يَنْمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أُنْعِمِ اللَّهُ عَلَيْنَا أَذْخُلُوا عَلَيْنَا أَلْتَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿قَالُوا يَنْمُوسَى إِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا أَيْدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْنَا أَرْبَعِينَ سَنَةً

(١) هو عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد، الشيخ العلامة ابن بدران الحنبلي الدمشقي، ولد سنة (١٢١٧هـ)، وتوفي سنة (١٣٤٦هـ)، ينظر: الأعلام (١٦٢/٤)، ومعجم المؤلفين (١٨٤/٢).

(٢) جواهر الأفكار ومعادن الأسرار ص (٢٦٤ - ٢٦٥).

يَتِيَهُوتَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١١﴾، وهذه القصة لا ينكرها اليهود، بل هي ثابتة في كتابهم المقدس^(١).

قال الطبري - في تفسير الآيات -: وهذا خبر من الله جل ذكره عن قول الملأ من قوم موسى لموسى، إذ رُغِبُوا فِي جِهَادِ عَدُوهِمْ وَوَعَدُوا نَصْرَ اللَّهِ إِيَّاهُمْ، إِذْ هُمْ نَاهِضُوهُمْ وَدَخَلُوا عَلَيْهِمْ بَابَ مَدِينَتِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: إِنَّا لَنَدْخُلُ مَدِينَتَهُمْ أَبَدًا. وَيَعْنُونَ بِقَوْلِهِمْ أَبَدًا: أَيَّامَ حَيَاتِنَا... وَكَانَ بَعْضُهُمْ^(٢) يَقُولُ فِي ذَلِكَ: لَيْسَ مَعْنَى الْكَلَامِ: اذْهَبِ أَنْتَ وَلِيَذْهَبِ مَعَكَ رَبِّكَ فَقَاتِلَا، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ: اذْهَبِ أَنْتَ يَا مُوسَى وَلِيَعْنِكَ رَبِّكَ. ثُمَّ عُلِقَ الطَّبْرِيُّ عَلَى ذَلِكَ الرَّأْيِ بِقَوْلِهِ: وَهَذَا إِنَّمَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَى طَلَبِ الْمَخْرَجِ لَهُ لَوْ كَانَ الْخَبَرُ عَنْ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، فَأَمَّا قَوْمُ أَهْلِ خِلَافِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ، فَلَا وَجْهَ لَطَلَبِ الْمَخْرَجِ لِكَلَامِهِمْ فِيمَا قَالُوا فِي اللَّهِ ﷻ، وَافْتَرَوْا عَلَيْهِ، إِلَّا بِمَا يَشْبِهُ كُفْرَهُمْ وَضَلَالَتَهُمْ^(٣).

وقد عَظُمَ خَوْفُ وَإِشْفَاقُ مُوسَى وَهَارُونَ وَيُوشَعَ بْنِ نُونٍ مِنْ قَوْلِ الْيَهُودِ: اذْهَبِ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا... فَسَجَدُوا إِعْظَامًا لِهَذَا الْكَلَامِ وَغَضَبًا لِلَّهِ ﷻ وَشَفَقَةً عَلَيْهِمْ مِنْ وَبِيلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ^(٤).

قال ابن القيم: تأمل لطف نبي الله تعالى موسى ﷺ بهم، وحسن خطابه لهم، وتذكيرهم بنعم الله عليهم، وبشارتهم بوعد الله لهم بأن القرية مكتوبة لهم، ونهيهم عن معصيته بارتدادهم على أديبارهم، وأنهم إن عصوا أمره ولم يمتثلوا انقلبوا خاسرين. فجمع لهم بين الأمر والنهي، والبشارة والندارة، والترغيب والترهيب، والتذكير بالنعم السابقة، فقابلوه أقبح مقابلة، فعارضوا أمر الله تعالى بقولهم... فسبحان من عظم حلمه، حيث يقابل أمره بمثل هذه المقابلة، ويواجهه رسوله بمثل هذا الخطاب، وهو يحلم عنهم ولا يعاجلهم بالعقوبة، بل وسعهم حلمه وكرمه، وكان أقصى ما عاقبهم

(١) سورة المائدة، الآيات (٢٠-٢٦).

(٢) ينظر: سفر العدد، إصحاح (٦/٢-١٦) ص (٢٦٨)، ونفس السفر، إصحاح (١٣/١٢-٢٣) ص (٢٢٢-٢٣٣).

(٣) هورأي أبي عبيدة في كتاب مجاز القرآن (١/١٦٠).

(٤) تفسير الطبري (٨/٣٠٣)، ولرشيد رضا كلام نفيس حول ذلك في تفسيره (٦/٣٣٤-٣٣٥).

(د) من البداية والنهاية لابن كثير (٢/١٢٧).

به أن أتاهم في برية سيناء أربعين عاماً يظلل عليهم الغمام من الحر. وينزل عليهم المن والسلوى^(١).

فموسى عليه السلام كان يقول: ليس أحد يطيعني منهم فيمثل أمر الله. ويجيب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هارون^(٢).

فعند ذلك غضب موسى عليه السلام عليهم. ودعا عليهم: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣).

قال الضحاك^(٤): اقض بيننا وبينهم وافتح بيننا وبينهم. كل هذا يقول الرجل: اقض بيننا، ففضى الله جل ثناؤه بينه وبينهم أن سماهم فاسقين^(٥).

قال الطبري: وعنى بقوله الفاسقين: الخارجين عن الإيمان بالله وبه إلى الكفر بالله وبه... فحرم الله ﷻ على القوم الذين عصوه وخالفوا أمره من قوم موسى وأبوا حرب الجبارين، دخول مدينتهم أربعين سنة^(٦).

وقال الشوكاني: هذه الآيات متضمنة للبيان من الله سبحانه بأن أسلاف اليهود الموجودين في عصر محمد ﷺ تمردوا على موسى وعصوه. كما تمرد هؤلاء على نبينا ﷺ وعصوه. وفي ذلك تسلية له ﷺ^(٧).

وقولهم: فاذهب أنت وربك فقاتلا، قالوا هذا جهلاً بالله ﷻ وبصفاته، وكفراً بما يجب له، أو استهانة بالله ورسوله^(٨).

(١) إغائة اللغمان (٣١٢/٢ - ٣١٣).

(٢) من تفسير ابن كثير (١٥٥/٥ - ١٥٦).

(٣) سورة المائدة. الآية (٢٥).

(٤) هو الضحاك بن مزاحم المفسر الكبير أبو محمد الهلالي، وثقه أحمد وابن معين. توفي سنة (١٠٢هـ). وقيل (١٠٦هـ). ينظر: السير (٤٩٨/٤)، والعبر (١٢٤/١)، والشذرات (١٢٤/١).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٣٠٦/٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٥٧/٣)، وتفسير ابن كثير (١٥٦/٥).

(٦) تفسير الطبري (٣٠٦/٨ - ٣٠٧).

(٧) تفسير الشوكاني (٢٩/٢).

(٨) المصدر السابق (٣١/٢).

”فهو عناد وحيد عن القتال، وإياس من النصر“^(١)، وتظهر شدة منازعة اليهود ومجادلتهم لموسى بهذه المقالة^(٢).

ولو عرف اليهود الله ورسوله حق المعرفة لما قالوا لموسى هذه المقالة^(٣). وقد ذكر بعض المفسرين أن الجبارين كانوا عظام الأجسام، طوال متعاضمون ومنهم من كان طوله أكثر من ثلاثة آلاف ذراع، فكان بني إسرائيل قد يعذروا في عدم قتالهم!! وهذا القول باطل، وهو كما قال ابن كثير: يستحيا من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ”إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق ينقص“^(٤).

قال الشوكاني: ما هذا بأول كذبة اشتهرت في الناس، ولسنا ملزمين بدفع الأكاذيب التي وضعها القصاص ونفقت عند من لا يميز بين الصحيح والسليم، فكم في بطون دفاتر التفاسير من أكاذيب وبلايا وأقاصيص، كلها حديث خرافة، وما أحق من لا تميز عنده لفن الرواية ولا معرفة به أن يدع التعرض لتفسير كتاب الله، ويضع هذه الحماقات والأضحوكات في المواضيع المناسبة لها من كتب القصاص^(٥).

وما أروع تعامل صحابة رسول الله ﷺ مع رسول الله في يوم بدر، فهم - رضوان الله عليهم - لم يقولوا له كما قال قوم موسى لموسى، بل لما استشارهم في الذهاب إلى النفير أجابوا وبادروا، قال المقداد: يا رسول الله، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(٦)، ولكن نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك، فأشرق وجه رسول الله ﷺ وسر بذلك^(٧).

(١) من تفسير القرطبي (٣٩٩/٧).

(٢) ينظر: تفسير ابن عادل الجنبلي - الباب في علوم الكتاب - (٢٧٤/٧).

(٣) ينظر: هداية الحيارى (١٩٠).

(٤) صحيح البخاري (٢٣٢٦)، وصحيح مسلم (٢٨٤١)، عن أبي هريرة وكلام ابن كثير في تفسيره (١٥١/د).
وينظر: البداية والنهاية (١٢١/٢ - ١٢٧)، وتفسير القاسمي (١٩٣٨/٦)، وتفسير المنار (٣٢٢/١ - ٣٢٣).

(٥) تفسير الشوكاني (٣٠/٢).

(٦) سورة المائدة، الآية (٢٤).

(٧) صحيح البخاري (٣٩٥٢، ٤٦٠٩) عن ابن مسعود.

وما أسرع اليهود إلى المعاصي رغم ما يشاهدون من آيات، فإنه لم يكن بنو إسرائيل يمشون مع موسى بعد خروجهم من البحر ونجاتهم من فرعون، حتى رأوا قوماً يعبدون أصناماً لهم. فنسوا ما كانوا يذكرونه من آيات موسى ونجاتهم مع موسى، وقالوا ما حكاه القرآن: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مِمَّا هُمْ فِيهِ وَيَنْظِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾^(١)، والفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَتَوْا﴾ تفيد - كما هو معروف - الترتيب والتعقيب، ومعنى ذلك أنه لم يمض وقت بعد خروجهم من البحر ونجاتهم من الهلاك، حتى عادوا إلى الوثنية التي ألفوها. وألفوا الذل معها، وهذا يدل على أن الإيمان لم يخالط بشاشة قلوبهم، ولم يتمكن من ضمائرهم ومشاعرهم، ولم يثمر فيهم الثمرة الطبيعية لكل شجرة طيبة، وإنما كان إيمانهم بموسى إيماناً بإمامته وزعامته لا إيماناً بالله الذي خلقه وسواه^(٢).

قال الطبري - في تفسير آية: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ -: يقول تعالى ذكره: وقطعنا بني إسرائيل البحر بعد الآيات التي أرينا همومها والعبر التي عاينوها على يدي نبي الله موسى، فلم تزرهم تلك الآيات، ولم تعظم تلك العبر والبيئات حتى قالوا مع معابنتهم من حجج الله ما يحق أن تذكر معها البهائم. إذ مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها من دون الله، فقالوا لموسى: اجعل لنا يا موسى مثلاً نعبده وصنماً نتخذه إلهاً كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها، ولا تبتغي العبادة لشيء سوى الله الواحد القهار، فقال موسى: أيها القوم إنكم تجهلون عظمة الله وواجب حقه عليكم، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيء سوى الله الذي له ملكوت السموات والأرض^(٣).

وقد جاء في السنة الإشارة إلى ذلك، فعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين، فمررنا بسدرة فقلت: يا نبي الله، اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة، ويعكفون حولها، فقال النبي ﷺ:

(١) سورة الأعراف، الآيات (١٣٨ - ١٣٩).

(٢) ينظر: من معاني القرآن لعبد الرحيم فودة ص (١٢٣ - ١٢٤)، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى (٤٦٥/٧).

(٣) تفسير الطبري (٤٠٨/١٠ - ٤٠٩)، وينظر: تفسير ابن كثير (٣٧٩/٦).

”الله أكبر. هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ إنكم تركبون سنن الذين من قبلكم”^(١).

قال الشوكاني - مبيناً جهل بني إسرائيل وعنادهم وتلونهم -: وصفهم موسى بالجهل لأنهم قد شاهدوا من آيات الله ما يزر من له أدنى علم عن عبادة غير الله. ولكن هؤلاء القوم - أعني بني إسرائيل - أشد خلق الله عناداً وجهلاً وتلوناً^(٢). ”فعر فهم موسى ~~الجهل~~ أن هذا جهل منهم، إذ سألوا أمراً حراماً فيه الإشراف في العبادة”^(٣).

وكان وصف موسى إياهم بالجهالة مؤكداً لما دلت عليه الجملة الأسمية من كون الجهالة صفة ثابتة فيهم وراسخة من نفوسهم. ولولا ذلك لكان لهم في بادئ النظر زاجر عن مثل هذا السؤال، فالخبر مستعمل في معنييه الصريح والكنائية. فكفى به عن التعجب من فداحة جهلهم^(٤).

وقال العلامة محمد رشيد رضا: وصفهم بالجهل المطلق غير متعلق بشيء، وهو على طريقتنا... يشمل كل ما يصلح له من الجهل الذي هو فقد العلم. والجهل الذي هو سفه النفس وطيش العقل، وأهمه المناسب للمقام جهل التوحيد وما يجب من إفراد الرب تعالى بالعبادة من غير واسطة. ولا التقيد بمظهر من المظاهر يتوجه إليه معه^(٥).

ثم لم يمض وقت طويل حتى عاد بنو إسرائيل لعاداتهم المتكررة في المعصية والردة والإشراك، وكانت الردة في هذه المرة متمثلة في عبادة العجل، وهذه القصة ثابتة في التوراة^(٦). ولكنهم نسبوا صناعة العجل زوراً وبهتاناً إلى هارون ~~عليه السلام~~. على عاداتهم المشهورة في نسبة الكبائر والمعاصي إلى الأنبياء - عليهم السلام -.

(١) أخرجه أحمد في المسند (د/ ٢١٨)، بإسناد صحيح على شرط الشيخين والنسائي في الكبرى (١١١٨٥). وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٧٦٣)، والطبراني في الكبير (٣٢٩٠).

(٢) تفسير الشوكاني (٢/ ٢٥٢).

(٣) من تفسير ابن عطية (٦/ ٦١).

(٤) ينظر: تفسير ابن عاشور - التحرير والتنوير - (٩/ ٨٢).

(٥) تفسير المنار (٩/ ١١٠ - ١١١).

(٦) ينظر: سفر الخروج، إصحاح (١٧/ ٧ - ٧) ص (١٢٩ - ١٤٠).

والذي عبد العجل من بني إسرائيل ليس فئة قليلة، بل جل بني إسرائيل في ذلك الوقت، وهذا أمر يعترف به المؤرخ اليهودي اسبينوزا بقوله: إن الإسرائيليين جميعاً قد عبدوا العجل باستثناء اللاويين^(١).

ولنعد إلى سياق القصة من خلال القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَرِيُّ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا يَكْمُلُ لَهُمْ وَلَا يَنْتَهُيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا إِنَّ لِمَنْ يَرْحَمُنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرَ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١١﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ بِنِسْمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ الْقَوْمِ اسْتَضَعْفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٤﴾﴾

فقول موسى: "بنسما خلفتموني من بعدي" ذم منه لقومه، أي بنس العمل ما عملتموه من بعدي، أي من بعد غيبتني عنكم. يقال: خلفه بخير وخلفه بشر. استنكر عليهم ما فعلوه، وذمهم لكونهم قد شاهدوا من الآيات ما يوجب بعضه الانزجار والإيمان بالله وحده، ولكن هذا شأن بني إسرائيل في تلون حالهم واضطراب أفعالهم^(٢). والأسف كما قال أبو الدرداء: منزلة وراء الغضب أشد من ذلك^(٣).

وقال ابن عباس: الأسف على وجهين: الغضب والحزن^(٤).

قال ﷺ: "يرحم الله موسى، ليس المعايين كالمخبر، أخبره ربه تبارك وتعالى أن قومه فتنوا بعده، فلم يلق الألواح، فلما رآهم وعابنهم ألقى الألواح فتكسر منها ما تكسر"^(٥).

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة ص (٤١د).

(٢) سورة الأعراف. الآيات (١٤٨-١٥٢).

(٣) تفسير الشوكاني (٢٦٠/٢)، وينظر: تفسير الطبري (٤٥٠/١٠-٤٥١)، وتفسير القرطبي (٣٣٨/٩).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (٢٨٤/٣)، وتفسير ابن الجوزي (٢٦٣/٣)، وتفسير ابن كثير (٣٩٥/٦)، وتفسير السيوطي (٥٩٣/٦).

(د) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٥٦٩/د) رقم (٨٩٩٦)، وتفسير السيوطي (٥٩٣/٦).

(٦) أخرجه أحمد (٢٦٠/٤-٢٦١)، والبخاري كما في الكشف (٢٠٠)، وابن أبي حاتم (١٥٧٠/د) رقم (٨٩٩٨)، وابن حبان (٦٢١٣، ٦٢١٤)، والطبراني في الأوسط (٢د)، والكبير (١٢٤٥١) عن ابن عباس. قال محققو المسند لأحمد: حديث صحيح.

فسبب إلقاء موسى للألواح غضب موسى على قومه لعبادتهم العجل. قال الطبري:
أولى الأقوال بالصواب أن يكون سبب إلقاء موسى الألواح كان من أجل غضبه على قومه
لعبادتهم العجل، لأن الله تعالى ذكره بذلك أخبر في كتابه فقال: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى
قَوْمِهِ غَضَبَنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ
بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ
الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

وقد روي قول آخر في سبب إلقاء موسى الألواح، وهو مروي عن قتادة أن موسى إنما
ألقي الألواح لفضائل أصابها في الألواح لغير قومه، فاشتد ذلك عليه^(٢).

قال ابن كثير - بعد بيانه أن جمهور العلماء سلفاً وخلفاً على ما قرره الطبري -:
وروي ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً، لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة، وقد رده ابن
عطية وغير واحد من العلماء، وهو جدير بالرد. وكأنه تلقاه عن بعض أهل الكتاب،
وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة^(٣).

وأما الغضب الذي نال بني إسرائيل في عبادة العجل، فهو أن الله تعالى لم يقبل لهم
توبة حتى قتل بعضهم بعضاً، كما تقدم في سورة البقرة: ﴿فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا
أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٤). وأما الذلة
فأعقبهم ذلك ذلاً وصغاراً في الحياة الدنيا^(٥).

(١) تفسير الطبري (١٠/٤٥٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٣/٤٥٢ - ٤٥٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/١٥٦٤)، وتفسير عبد الرزاق (١/٢٣٦ - ٢٣٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/٢٩٦)، وينظر: رد ابن عطية في تفسيره (٦/٨٧)، وقال ابن الجوزي - عن قول
قتادة -: وفيه بُعد. تفسير ابن الجوزي (٣/٢٦٤).

(٤) سورة البقرة، الآية (٤٤).

(٥) من تفسير ابن كثير (٦/٢٩٧)، وينظر: تفسير الطبري (١٠/٦٢ - ٤٦٣)، وتفسير القرطبي (٩/٢٤٤)،
وتفسير البغوي (٣/٢٨٥)، وتفسير ابن الجوزي (٣/٦٥)، وتفسير ابن عطية (٦/٩٠).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ آخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسٍ ۖ فَلَمْ يُبْدُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ وَلَا عَقْدُهُمْ ۖ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۖ الَّذِينَ لَا يَأْتُونَ اللَّهَ بَعْدَ غَيْرِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانَ لَهُمْ أَقْبَالٌ ۙ﴾ (البقرة: ٨٤) توبيخ، و"ثم" أبلغ من الواو في التفريع، أي بعد النظر في الآيات والإتيان بها اتخذتم. وهذا يدل على أنهم إنما فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر في الآيات؛ وذلك أعظم لجرمهم^(١).

"واليهود - قبحهم الله - لم يكتفوا بعبادتهم العجل، بل جعلوه إله موسى. قال ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَهُكُمْ وَإِنَّهٗ مُوسَىٰ فَقَسَىٰ﴾ (٢١). فنسبوا إلى موسى الشرك وعبادة غير الله، وعبادة أبله الحيوانات وأقلها دفعا عن نفسه، بحيث يضرب به المثل في البلادة والذل. فجعلوه إله كليم الرحمن، ثم لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا موسى ﷺ ضالاً مخطئاً فقالوا: ﴿فَنَسِيَ﴾. قال ابن عباس: أي ضل وأخطأ الطريق. وفي رواية عنه: أي أن موسى ذهب يطلب ربه فضل ولم يعلم مكانه... هذا هو القول المشهور أن قوله: فنسي من كلام السامري وعباد العجل معه^(١١).

ومن الصفات المذمومة التعنت^(١٢). وقد حذر الإسلام من السؤال عما لا ينبغي السؤال عنه. قال تعالى: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ سُؤُوكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٥) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٦).

(١) سورة البقرة، الآية (٥١).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٢٥٤/٢). وتفسير ابن عطية (٣٩٦/١).

(٣) سورة طه، الآية (٨٨).

(٤) من إغاثة اللهفان (٢٣١/٤ - ٢٢٢). وقول ابن عباس في تفسير الطبري (١٤١/١٦). ورجح الطبري هذا التأويل (١٤٣/١٦).

(د) التعنت محركة: الفساد والإثم والهلاك ودخول المشقة على الإنسان. وعنته تعنتاً شدد عليه وألزمه ما يصعب عليه أدائه. القاموس المحيط. مادة عنت ص (٢٠٠). وينظر: الصحاح (٢٥٩/١). واللسان (٣٦٥/٢).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. معناه: ولو شاء الله لشدد عليكم وتعبدكم بما يصعب عليكم أدائه كما فعل من كان قبلكم.

ينظر: تهذيب اللغة (٢٧٤/٢). وتفسير الطبري (٧٠٩/٣). وتفسير القرطبي (٤٥٣/٣). وتفسير الشوكاني (٣٩١/١). وتفسير البغوي (٢٥٥/١).

(٦) سورة المائدة، الأيتان (١٠١ - ١٠٢).

وحذر المصطفى ﷺ من التعنت وكثرة السؤال عما لا يفيد، وبين أنه سبب هلاك الأمم المتقدمة، قال: "ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم"^(١).

"فأمرهم بالإمساك عما لم يؤمروا به، معللاً بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية"^(٢).

والمراد بهذا الأمر – كما قال العلامة ابن حجر -: ترك السؤال عن شيء لم يقع خشية أن ينزل به وجوبه أو تحريمه، وعن كثرة السؤال لما فيه غالباً من التعنت، وخشية أن تقع الإجابة بأمر يستتقل، فقد يؤدي لترك الامتنال فتقع المخالفة، ثم أشار – رحمه الله – إلى ما وقع من بني إسرائيل في قصة البقرة^(٣)، وسيأتي الكلام عنها. والتعنت من صفات اليهود المشهورة، "وقد طلب اليهود إعانت موسى عليه السلام بكل وسيلة"^(٤).

ومن الأمثلة على تعنتهم قصة البقرة التي أمروا بذبحها، قال ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٥) قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبُّكَ بَيْنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦) قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبُّكَ بَيْنَ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ (٧) قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبُّكَ بَيْنَ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٨) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا أَلْفَنَ جَفَّتْ بِالْحَقِّ فَدَعَوْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٩) - وهذا تعنت منهم وقلة طواعية^(١٠).

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٢٧) عن أبي هريرة.

(٢) من شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص (٧٨٢).

(٣) فتح الباري (٢٦٠/١٣ - ٢٦١).

(٤) من كتاب: يهود الأمس للشيخ عبد الرحمن الدوسري - رحمه الله - ص (٨٠).

(٥) سورة البقرة، الآيات (٦٧ - ٧١).

(٦) من تفسير القرطبي (٨١/٢)، وينظر: تفسير ابن عطية (٣٤٢/١)، وتفسير ابن عاشور (٤٤٦/١).

قال الشوكاني: هذا نوع من أنواع تعنتهم المألوفة. فقد كانوا يسلكون هذه المسالك في غالب ما أمرهم الله به، ولو تركوا التعنت والأسئلة المتكلفة لأجزأهم ذبح بقرة من عرض البقر، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم^(١).

قال الطبري - في تفسير الآية -: إن الله جل ثناؤه إنما أمرهم بذبح بقرة من البقر، أي بقرة شاءوا ذبحها، من غير أن يحصر لهم ذلك على نوع منها دون نوع، أو صنف دون صنف، فقالوا بجفاء أخلاقهم وغلظ طبائعهم وسوء أفهامهم وتكلف ما قد وضع الله عنهم منونته تعنتاً منهم لرسول الله ﷺ... فلما تكلفوا جهلاً منهم ما تكلفوا من البحث عما كانوا قد كفّوه من صفة البقرة التي أمروا بذبحها، تعنتاً منهم بنبيهم موسى صلوات الله عليه، بعد الذي كانوا أظهروا له من سوء الظن فيما أخبرهم عن الله جل ثناؤه، عاقبهم ﷺ بأن خصّ بذبح ما كان أمرهم بذبحه من البقرة على نوع منها دون نوع^(٢). وقرر - رحمه الله - أن اليهود لما زادوا نبيهم موسى ﷺ أذى وتعنتاً زادهم الله عقوبة وتشديداً^(٣).

قال ابن عباس: لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها، لكنهم شددوا فشدد الله عليهم^(٤). ومما ينبغي التنبيه عليه الرد على من يزعم أن اليهود لم يكونوا متعنتين في قصة البقرة، بل كانوا مأمورين بذبح بقرة خاصة لهم. وقد عرض شيخ المفسرين الطبري، لهذا الرأي ونقده، قال: وقد زعم بعض من عظمت جهالته، واشتدت حيرته، أن القوم إنما سألوا موسى ما سألوا بعد أمر الله إياهم بذبح بقرة من البقرة، لأنهم ظنوا أنهم أمروا بذبح بقرة بعينها خصت بذلك، كما خصت عصا موسى في معناها، فسألوا أن يجليها لهم ليعرفوها، ولو كان الجاهل تدبير قوله هذا، لسهل عليه ما استصعب من القول، وذلك أنه استعظم من القوم مسألتهم نبيهم ما سألوه تشدداً منهم في دينهم.

(١) تفسير الشوكاني (١/١٦٠). ونحوه في تفسير ابن كثير (١/٤٤٨).

(٢) تفسير الطبري (٢/٨٢ - ٨٣).

(٣) تفسير الطبري (٢/٩٨).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢/٩٨). وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره (١/٤٤٨). ونحو قول ابن عباس قاله أبو هريرة، وعبيدة والسدي، ومجاهد وعكرمة وأبي العالية، ينظر: تفسير الطبري (٢/٩٨ - ١٠٠). وتفسير ابن كثير (١/٤٤٨ - ٤٤٩).

ثم أضاف إليهم من الأمر ما هو أعظم مما استنكره أن يكون كان منهم. فزعم أنهم كانوا يرون أنه جائز أن يفرض الله عليهم فرضاً، ويتعبدتهم بعبادة، ثم لا يبين لهم ما يفرض عليهم ويتعبدتهم به، حتى يسألوا بيان ذلك لهم. فأضاف إلى الله تعالى ما لا يجوز إضافته إليه، ونسب القوم من الجهل إلى ما يُنسب المجانين إليه، فزعم أنهم كانوا يسألون ربهم أن يفرض عليهم الفرائض. فنعوذ بالله من الحيرة، ونسأله التوفيق والهداية^(١).

والعلماء والأئمة يذكرون هذه القصة للتحذير من أخلاق اليهود المذمومة. وللاعتبار بها ولعدم المشابهة لهم في ذلك. قال ابن القيم: منها - يعني من العبر في قصة البقرة -: أنه لا ينبغي مقابلة أمر الله تعالى بالتعنت وكثرة الأسئلة، بل يبادر إلى الامتثال، فإنهم لما أمروا - أي اليهود - أن يذبحوا بقرة: كان من الواجب عليهم أن يبادروا إلى الامتثال بذبح أي بقرة اتفقت، فإن الأمر بذلك لا إجمال فيه ولا إشكال، بل هو بمنزلة قوله: اعتق رقبة وأطعم مسكيناً وصم يوماً ونحو ذلك. ولكن لما تعنتوا وشددوا فشدد عليهم^(٢).

ومن أمثلة تعنت اليهود قولهم لموسى كما حكاها الله ﷻ عنهم: ﴿وَأَذَقْتُمُ يَمُوسَى لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّيْغَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(٣). فقولهم هذا في غاية الجرأة على الله وعلى رسوله^(٤)، وهو منهم - كما قال العلامة رشيد رضا^(٥) - إعنات وطلب ما لا يستطيع^(٦).

قال الطبري - في تفسير الآية -: فذكرهم بذلك - جل ذكره - كثرة اختلاف آبائهم وسوء استقامة أسلافهم لأنبيائهم. مع كثرة معاينتهم من آيات الله وعبره ما

(١) تفسير الطبري (١٠٢/٢ - ١٠٣).

(٢) إغاثة اللهفان (٣١٥/٢). وينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠٥/٧). وتفسير المنار (٢٤٥/١ - ٢٤٦).

(٣) سورة البقرة، الآية (٥٥). ونحو الآية في سورة النساء، رقم (١٥٣).

(٤) من تفسير ابن سعد (٣٥).

(٥) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد بن محمد بن علي القلموني الحسيني، عالم بارع في أنواع من العلوم، ولد سنة (١٢٨٢هـ)، وتوفي سنة (١٣٥٤هـ). ينظر: المجددون في الإسلام (٥٣٩). والأعلام (٢٦١/٦). ومعجم المؤلفين (٢٩٣/٣).

(٦) تفسير المنار (٣٣٠/١).

تتلج بأفلاها الصدور. وتطمئن بالتصديق معها النفوس. وذلك مع تتابع الحجج عليهم وسبوغ النعم من الله لديهم. وهم مع ذلك مرة يسألون نبيهم أن يجعل لهم إلهاً غير الله. ومرة يعبدون العجل من دون الله. ومرة يقولون: لن نصدقك حتى نرى الله جهرة. وأخرى يقولون له - إذا دعوا إلى القتال -: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. ومرة يقال لهم: ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ ﴾^(١). فيقولون: حنطة في شعيرة. ويدخلون الباب من أستاههم. مع غير ذلك من أفعالهم التي أدوا بها نبيهم ﷺ التي يكثر إحصاؤها.

فأعلم ربنا تبارك اسمه وتعالى ذكره الذين خاطبهم بهذه الآيات من يهود بني إسرائيل الذين كانوا بين ظهري مهاجر رسول الله ﷺ. أنهم لن يعدّوا أن يكونوا - في تكذيبهم محمداً ﷺ - وجحودهم نبوته، وتركهم الإقرار به، وبما جاء مع علمهم به، ومعرفتهم بحقيقة أمره - كأسلافهم وأبائهم الذين قصّ الله عليهم في ارتدادهم عن دينهم مرة بعد أخرى. وتوثبهم على نبيهم موسى صلوات الله وسلامه عليه تارة بعد أخرى. مع عظيم بلاء الله عندهم. وسبوغ آلائه عليهم^(٢).

واشترط اليهود رؤية الله جهرة للإيمان من فرط العناد والتعنّت وطلب المستحيل. فهو سؤال تحكم واقتراح لا سؤال انقياد^(٣). فعوقبوا بالصعق لأجل ذلك.

ومن أمثلة تضرعهم قولهم - كما حكاه تعالى -: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدْ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهَيِّطُوا بِمَضْرَاءٍ إِن لَّكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِي مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَاثِرُوا بِكُفْرُورِهِمْ بِنَايَةِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ عَنِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾^(٤). فقله تعالى: ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾.

(١) سورة البقرة، الآية (٥٨).

(٢) تفسير الطبري (٦٨٩/١). وينظر: جواهر ابن بدران ص (٢٠٨).

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود (١٧٧/١). وتفسير ابن كثير (٣٢٢/٤). وتفسير الماوردي (٤٣٢/١). وتفسير

الكلبي (٨٤/١). وتفسير الشوكاني (١٢٥/١).

(٤) سورة البقرة، الآية (٦٧).

”من قول موسى عليه السلام لهم. وذلك لما قالوا: ﴿قَادْعُ لَنَا رَبِّكَ﴾... الآية غضب عليهم. وقال: أُنسَبِدلون الرديء من الطعام بالذي هو خير. يعني: بالشريف الأعلى. ومعنى الآية: أُنسَبِدلون البصل والقثاء والفوم والعدس والبصل الذي هو أدنى بالمن والسلوى الذي هو خير“^(١).

وقال الشوكاني - في تفسير الآية -: تضرَّج منهم بما صاروا فيه من النعمة والرزق الطيب، والعيش المستلذ، وهو باب من تعنتهم. وشعبة من شعب تعجر فهم كما هو دأبهم وهجيراهم في غالب ما قص علينا من أخبارهم^(٢). ”فسؤالهم هذا من باب البطر والأشر“^(٣).

وقال العلامة ابن بدران: لما كان القوم فلاحاً، نزعوا إلى أصلهم الرديء، وأعمالهم السيئة. وإلى عادتهم ودينهم. فبطروا ما كانوا فيه من النعمة، وطلبت أنفسهم الشقاء. وهكذا كل من ربي على عادة سيئة. لا بد أن ينزع إلى عادته مهما طال فراقها. ودنيء الأصل مهما هذبته. لا بد أن يقابل النعمة بالكفران. والحسنة بالسيئة^(٤).

فالذي جرى منهم فيه أكبر دليل على قلة صبرهم واحتقارهم لأوامر الله ونعمه^(٥). ولا أدل على تضرَّجهم واحتقارهم وأوامر الله من أن التوراة عرضت عليهم فلم يقبلوها. وقد شاهدوا من الآيات ما شاهدوه. حتى أمر الله سبحانه جبريل فقلع جبلاً من أصله على قدرهم. ثم رفعه فوق رؤوسهم. وقيل لهم: إن لم تقبلوها ألقيناها عليكم. فقبلوها كرهاً. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَتَقَنَا الْجِبَلُ فَوَقَّهْمُ كَأَنَّهُمْ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ وَقَعَ بِهِمْ حُذُوءٌ مَّا ءَاتَيْنَهُمْ بِقُوَّةٍ وَآذَنُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٦).

وقد أشار المصطفى ﷺ إلى عصيان اليهود وتبديلهم فقال: ”قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة. فبدلوا ودخلوا يزحفون على أستاههم. وقالوا حبة في شعيرة“^(٧).

(١) من تفسير القرطبي (١٥١/٢). وينظر: تفسير السمرقندي (١٢٣/١).

(٢) تفسير الشوكاني (١٥٤/١).

(٣) من تفسير ابن كثير (٤٢٨/١). وتفسير المنار (٣٣٠/١).

(٤) جواهر الأفكار ص (٢١٣ - ٢١٣).

(٥) ينظر: تفسير ابن سعدي (٣٥).

(٦) سورة الاعراف. الآية (١٧١). وينظر: اغاثة اللهمان (٢٢٨/٢).

(٧) صحيح البخاري (٣٤٠٣، ٤٤٧٩، ٤٦٤١) عن أبي هريرة.

ولا يقتصر الأمر عند اليهود إلى حد التضجر والتمرد والعصيان لموسى، بل إلى حد التكذيب به. وموسى عليه السلام قد كذب به بعض بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ﴾^(١).

قال الطبري: يقول تعالى – مسلماً نبيه - عليه السلام في تكذيب مشركي قريش قومه إياه فيما اتهم به من عند الله بفعل بني إسرائيل بموسى فيما اتهم به من عند الله. يقول تعالى ذكره -: ولا يحزنك يا محمد تكذيب هؤلاء المشركين لك. وامض لما أمرك به ربك من تبليغ رسالته. فإن الذي يفعل بك هؤلاء من رد ما جنتهم به عليك من النصيحة من فعل ضربانهم من الأمم قبلهم. وسنة من سننهم. ثم أخبر جل ثناؤه بما فعل قوم موسى به فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة. فاختلف في ذلك الكتاب قوم موسى. فكذب به بعضهم وصدق به بعضهم^(٢).

وقال الشوكاني: آمن به قوم وكفر به آخرون، وعمل بأحكامه قوم وترك العمل ببعضها آخرون^(٣).

ومن تأمل حال اليهود – قبحهم الله – في طريقته مع المصطفى ﷺ وتكذيبهم له، يتيقن أنها هي حالهم وطريقته مع موسى عليه السلام^(٤).

قال ابن بدران – في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٥) -: أعاد ﷺ ذكر موسى في هذه الآية وما جاء به من الآيات البينات. ثم أخبر أنهم مع وضوح ذلك أجازوا أن يتخذوا العجل إلهاً. وهو مع ذلك صابر ثابت على الدعاء إلى ربه. والتمسك بدينه وشرعه. فكانه تعالى يقول لنبيه ﷺ:

(١) سورة هود. الآية (١١٠).

(٢) تفسير الطبري (١٢/٢٩٢).

(٣) تفسير الشوكاني (٢/٣٨٨). وينظر: تفسير القرطبي (١١/٢١٩). وتفسير الرازي (١٨/٦٩). وتفسير البغوي (٤/٢٠٤). وتفسير ابن الجوزي (٤/١٦٢). وتفسير ابن كثير (٧/٤٧٥). وتفسير ابن عاشور (١٢/١٦٩ - ١٧٠).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (١/٧٠). وتفسير ابن عاشور (١/٦٠٩).

(٥) سورة البقرة. الآية (٩٢).

قل لهؤلاء الذين هم خلف من كان زمن موسى: إن حالي معكم كحال موسى مع سلفكم، وإن بالغتم في تكذيب ما فعل سلفكم مع موسى وبالغتم في إنكاره^(١). وقد قرر الأئمة أن الآيات والبراهين التي دلت على صحة نبوة المصطفى ﷺ وصدقه أضعاف أضعاف آيات من قبله من الرسل. "فليس لنبي من الأنبياء آية توجب الإيمان به إلا ولمحمد ﷺ مثلها، أو ما هو في الدلالة مثلها وإن لم يكن من جنسها، فأيات نبوته أعظم وأكبر وأبهر وأدل، والعلم بنقلها قطعي، لقرب العهد، وكثرة النقلة، واختلاف أمصارهم وأعصارهم، واستحالة تواطئهم على الكذب.... فإن جاز القدح في ذلك كله فالقدح في وجود عيسى وموسى وآيات نبوتهما أجوز، وإن امتنع القدح فيهما وفي آيات نبوتهما فامتناعه في محمد ﷺ وآيات نبوته أشد، ولذلك لما علم بعض علماء أهل الكتاب أن الإيمان بموسى لا يتم مع التكذيب بمحمد أبداً، كفر بالجميع، وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُ قُرْآنًا يَتَذَكَّرُونَ بِهِ كَثِيرًا وَعِلْمُهُمَّ مَا لَمْ يَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(٢). قال سعيد بن جبيرة^(٣): جاء رجل من اليهود يخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: "أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟! وكان حبراً سميناً، فغضب عدو الله وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه الذين معه: ويحك ولا موسى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء"^(٤).

(١) جواهر الأفكار ص (٢٦٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٩١).

(٣) هو سعيد بن جبيرة بن هشام، الإمام المفسر الشهير أبو محمد، روى عن ابن عباس فأكثر وجود، قتله الحجاج بن يوسف صبراً سنة (٩٥هـ). ينظر: حلية الأولياء (٤/٢٧٢)، والسير (٤/٣٢١)، ووفيات الأعيان (٢/٣٧٧)، والشذرات (١/١٠٨).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٤٢/٤) رقم (٥٩٧)، والطبري في تفسيره (٩/٣٩٤)، وينظر: تفسير ابن كثير (٦/١١٠)، وتفسير السيوطي (٦/١٢٧)، وتفسير الشوكاني (٣/١٤٦) والحديث كما هو ظاهر مرسل، إضافة إلى أن في إسناده يعقوب القمي وهو ليس بالقوي في سعيد بن جبيرة. ينظر: ميزان الاعتدال (٤/٥٣٢ و ١/٤١٧) وجاء عن أبي أمامة فيما عزاه أبو الليث السمرقندي كما في المقاصد الحسنة للسخاوي (١/٢٠٧) والسمرقندي تروج عليه الأحاديث الموضوعة كما في السير للذهبي.

ويقرر السموأل - وكان يهودياً ثم أسلم - أن الأدلة على نبوة محمد ﷺ هي عينها الأدلة على نبوة موسى. يقول: إذا سألنا يهودياً عن موسى عليه السلام: وهل رآه وعين معجزاته؟ فهو - بالضرورة - يقر بأنه لم يشاهد شيئاً من ذلك عياناً، فنقول له: بماذا عرفت نبوة موسى وصدقه؟! فإن قال: إن التواتر قد حقق ذلك، وشهادات الأمم بصحته، دليل ثابت في العقل. كما قد ثبت عقلاً وجود بلاد وأنهار لم نشاهدها، وإنما تحققنا وجودها بتواتر الأنباء والأخبار. قلنا: إن هذا التواتر موجود لمحمد وعيسى - عليهما السلام - . كما هو موجود لموسى. فيلزمك التصديق بهما^(١).

* * *

= (٣٢٣/١٦) ولذلك قال السخاوي عنه: ولكن ما علمته في المرفوع. وما بين هلالين من هداية الحيارى (١٨٥ - ١٨٦).

(١) إفحام اليهود (٩١)، وينظر: أصول الدين للبغدادي (١٦٠)، الفصل لابن حزم (١٨٣/١).

المبحث الثاني: القذف والذم وسوء الأدب مع موسى عليه السلام:

لم يكتف اليهود بعصيان موسى والتمرد عليه. والتضجر منه. بل وصل الحد إلى قذفه واتهامه وعيبه والانتقاص من مكانته. وسوء الأدب معه. ولنذكر بعض الأمثلة التي تدل على ذلك:

أ) نسب اليهود إلى كليم الله موسى عليه السلام العيب في جسمه. فقالوا مرة: إنه أدر. ومرة: إنه أبرص. ونهى الله ﷻ هذه الأمة عن الاقتداء بهم في ذلك. قال تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾^(١). وقد جاء في سبب نزول هذه الآية ما رواه أبو هريرة > قال: قال رسول الله ﷺ: "إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً. لا يكاد يرى من جلده شيء. استحياءً منه. فإذا من آذاه من بني إسرائيل. وقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب في جلده. إما برص. وإما أدر. وإما آفة. وإن الله تعالى أراد أن يبرئه مما قالوا. وإن موسى خلا يوماً وحده. فوضع ثيابه على حجر. ثم اغتسل فلما فرغ من غسله أقبل على ثوبه ليأخذه. وإن الحجر عدا بثوبه. فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر. وجعل يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر. حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل. فرأوه عرياناً كأحسن الناس خلقاً. وبرأه الله مما قالوا. وإن الحجر قام. فأخذ ثوبه ولبسه..."^(٢). وفي لفظ آخر - في سياق هذه القصة - قول بعض بني إسرائيل: قاتل الله أفاكي بني إسرائيل!^(٣).

قال العلامة القاضي عياض - في شرح الحديث -: الأنبياء منزّهون عن النقائص في الخلق والخلق سالمون من المعاييب. ولا يلتفت إلى ما قاله من لا تحقيق عنده في هذا الباب من أصحاب التواريخ في صفات بعضهم. وإضافة بعض العاهات إليهم. فالله تعالى قد نزههم عن ذلك. ورفعهم عن كل ما هو عيب ونقص. مما يفض العيون وينفر القلوب.

(١) سورة الأحزاب. الآية (٦٩).

(٢) صحيح البخاري (٤٧٩٩، ٣٤٠٤).

(٣) مسند أحمد (٣٩٢/٢). عن أبي هريرة. قال محققو المسند: حديث صحيح. وينظر في الآية وسبب نزولها. تفسير الطبري (١٩٤/١٩ - ١٩٥). وتفسير القرطبي (٢٤٢/١٧) وتفسير الكلبي (٣١٦/٣). وتفسير ابن كثير (٢٤٨/١١).

وفيه ما ابتلى به الأنبياء والصالحون من أذى السفهاء وصبرهم على الجهال. وقد قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾... الآية. وقال نبينا ﷺ: "إن موسى أودى بأكثر من هذا فصبر"^(١).

وقال الحافظ ابن حجر: وفيه - أي في الحديث - أن الأنبياء في خلقهم وخلقهم على غاية الكمال. وأن من نسب نبياً من الأنبياء إلى نقص في خلقه فقد آذاه ويخشى على فاعله الكفر^(٢).

وقال العلامة القرطبي^(٣): إنما كانت بنو إسرائيل تفعل ذلك - أي الاغتسال عراة - معاندة للشرع، ومخالفة لموسى ﷺ، وهو من جملة عتوهم. وقلة مبالاتهم باتباع شرع موسى. ألا ترى أن موسى ﷺ كان يستتر عند الغسل، فلو كانوا أهل توفيق وعقل اتبعوه، ثم لم يكفهم مخالفتهم له حتى آذوه بما نسبوا إليه من آفة الأذرة، فأظهر الله تعالى براءته مما قالوا بطريق خارق للعادة، زيادة في أدلة صدق موسى ﷺ، ومبالغة في قيام الحجة عليهم^(٤).

وقال ابن بطال^(٥) - في شرحه حديث الاغتسال -: هذا يدل على أنهم كانوا عصاة له في ذلك غير مقتدين بسنته^(٦). "وعلاوة على ذلك هذا الإيذاء بقولهم، إنه أدر"^(٧).
ب) اتهم اليهود موسى بالضلal والخطأ والجهل^(٨). بل ونسبوه إلى الطيش والسخرية^(٩). والسحر والجنون^(١٠). وهموا برجمه مع أخيه هارون في كثير من الأوقات^(١١).

(١) إكمال المعلم (٣٤٩/٧)، والحديث تقدم تخريجه.

(٢) فتح الباري (٤٣٨/٦).

(٣) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري. العلامة أبو العباس القرطبي المالكي الشهير في بلاده بابن المزين. ولد سنة (٥٧٨هـ). وتوفي سنة (٦٥٦هـ). ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢٨١/١٧). وحسن المحاضرة للسيوطي (٢٦٠/١). والشذرات (٢٧٣/٥). ومعجم المؤلفين (٢١٤/١ - ٢١٥).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (١٨٩/٦). وينظر: النشر الطيب للوزاني (١٦٧/٢).

(٥) هو علي بن حلف بن بطال. العلامة أبو الحسن البكري القرطبي الشهير بابن اللجام. توفي سنة (٤٤٩هـ). ينظر: السير (٤٧/١٨). والعبير (٢١٩/٣). والشذرات (٢٨٢/٣).

(٦) شرح ابن بطال للبخاري (٣٩٤/١).

(٧) من فتح الباري لابن رجب (٣٣٢/١).

(٨) هداية الحيارى (٢٤٥).

(٩) تفسير ابن عاشور (١٢٠/٢٢).

(١٠) ينظر: تفسير الماوردي (٣٤١/٣). وتفسير القرطبي (٢٤٢/١٧). وتفسير ابن الجوزي (٤٢٦/٦).

(١١) ينظر: افحام اليهود للسموال (١٧٩). وإغاثة اللهفان (٣٤٥/٢).

ج) كان تعامل بني إسرائيل مع نبيهم غليظاً جافاً سيئاً^(١)، فكانوا يخاطبونه باسمه مجرداً: (يا موسى) دون تصديره ب: يا نبي الله أو يا رسول الله، أو بما يليق بمقام موسى عليه السلام^(٢).

وبلغ من جرأة اليهود على موسى أنهم أنكروا فضل موسى، وقالوا له: لست أفضل منا، فلا يحق لك أن تترفع وتسود علينا بلا مزية^(٣).

د) وليت الأمر وقف عند ذلك الحد، ولكن بلغ من تلاعب الشيطان بهم إلى درجة أنهم قذفوا نبي الله موسى بالكبائر، فطائفة اتهمته بقتل هارون عليه السلام، قال علي بن أبي طالب عليه السلام: انطلق موسى وهارون إلى سفح جبل، فنام هارون على سريره، فتوفاه الله، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له: أين هارون؟ قال: توفاه الله، قالوا: أنت قتلته، حسدتنا على خلقه ولينه، فأحى الله هارون، فسأله بنو إسرائيل: من قتلك؟ قال: ما قتلني أحد، ولكن توفاني الله^(٤).

وجاء هذا القول من علي عليه السلام في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذُوا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾^(٥).

”فحسبك من جهالة أمة وجفائهم أنهم اتهموا نبيهم ونسبوه إلى قتل أخيه، فقال موسى: ما قتلته، فلم يصدقونه حتى أسمعهم كلامه وبراءة أخيه مما رموه به“^(٦). وطائفة من بني إسرائيل قذفت كلهم الله عليه السلام بالزنا – والعياذ بالله – قال القرطبي: ومن الأذى ما ذكر في قصة قارون^(٧)، أنه دس إلى امرأة تدعى على موسى الفجور^(٨).

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٧٩/٢)، وتفسير ابن عطية (٣٤٠/١ – ٣٤١)، وتفسير القاسمي (١٥٢/٢).

(٢) ينظر: إغاثة اللهفان (٣١٢/٢)، وجواهر ابن بدران (٢١٣)، وللعلامة الخيضي كلام نفيس حول تحريم مخاطبة النبي ﷺ باسمه مجرداً في كتابه اللفظ المكرم (١٤٥/٢).

(٣) ينظر: تفسير المنار (٣٢١/١).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٤٧٠/١٠)، ومصنف ابن أبي شيبة (٥٢٩/١١ – ٥٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٥٧٣/٣، ١٥٧٤)، وتفسير القرطبي (٣٤٨/٩)، (٤٣٩/٢٠)، وتفسير ابن كثير (٤٠١/٦)، وتفسير الكلبي (٣١٦/٢).

(٥) ينظر: المصادر السابقة في الحاشية السابقة.

(٦) من هداية الحيارى ص (١٩١)، وينظر في القصة: الآثار الباقية للطبري (٣٠٦، ٣٠٤)، والمنظوم (٣٧٢/١) – (٣٧٣)، والكمال (١٤٢/١)، وتاريخ ابن عساكر (١٧٢/١١ – ١٧٣)، والبداية والنهاية (٢٣٥/٢).

(٧) هو ابن عم موسى عليه السلام كما رواه ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس، ينظر: فتح الباري لابن حجر (٤٤٨/٦).

(٨) تفسير القرطبي (٤٣٩/٣٠)، وينظر: عرائس المجالس للثعالبي (٢/٨).

قال أبو العالية^(١) - في تفسير آية ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى﴾: هو أن قارون استأجر مومسة لتقذف موسى بنفسها على رأس الملاء. فعصمها الله. وبرأ موسى من ذلك. وأهلك قارون^(٢). وجاء تقرير ذلك بإسناد صحيح عن ابن عباس^(٣).
وأذى اليهود لموسى مما يصعب إحصاؤه^(٤).

وقد كان المصطفى ﷺ يصيبه بعض الأذى فيترحم على أخيه موسى عليه السلام. ويذكر شدة صبره على أذى اليهود له. فعن ابن مسعود أن رجلاً قال لشيء قسمه النبي ﷺ: ما عدل في هذا. فقلت: والله لأخبرن رسول الله ﷺ. فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال: يرحم الله موسى قد كان يصيبه أشد من هذا ثم يصبر^(٥).

(١) هورفيغ بن مهران. الإمام المفسر أبو العالية الرياحي البصري. أدرك زمان النبي ﷺ وأسلم في خلافة أبي بكر ودخل عليه. توفي سنة (٩٣هـ). وقيل: (٩٠هـ). ينظر: الحلية (٢/٢١٧). وتذكرة الحفاظ (١/٥٨). والسير (٤/٢٠٧). والشذرات (١/١٠٢).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٦/٣٧٩). وتفسير ابن الجوزي (٦/٤٢٦).

(٣) كما في فتح الباري لابن حجر (٦/٤٤٨). وينظر في القصة: تفسير الرازي (٢/٢٣٣). وتفسير ابن عطية (١٢/١٢٣).

(٤) مما روي من مظاهر الأذى دعاء بعض بني إسرائيل على موسى. فقد روي في سبب نزول قوله ﷺ: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ فَاَنْتَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]. أن المقصود رجل من بني إسرائيل من قوم موسى اسمه بلعام. كان يعلم الاسم الأعظم. وطلب منه قومه أن يدعو على موسى ومن معه فأبى. فما زالوا به حتى دعا عليهم. فسلخه الله ما كان عليه. وقد رويت آثار عن ابن مسعود وابن عباس في ذلك. ينظر: تفسير الطبري (١٠/٥٧٥). وتفسير الماوردي (٢/٧٠). وتفسير القرطبي (٩/٤٨٣). وتفسير ابن عطية (٢/٢٤١). وتفسير ابن كثير (٦/٤٤٨). وتفسير السيوطي (٦/٦٧٢ - ٦٧٣). والآثار الباقية (٣٠٨). والبداية والنهاية (٢/٢٣٣). وهي بنصها في كتابهم المقدس التوراة سفر العدد. إصحاح (٢٢) ص (٢٤٩ - ٢٥١). وسفر يشوع. إصحاح (٢٤) ص (٣٧٧).

وقد أعرضت عن ذكر هذه الرواية. لأنها فيما يظهر من الإسرائيليات. قال العلامة رشيد رضا: وجملة القول أن هذه الروايات الإسرائيلية لا يعتد بشيء منها. ولا قيمة لأسانيدها. لأن من ينتهي إليه السند قد اغتر ببعض ملفقي الإسرائيليات حتماً. وقد راينا شيخ المفسرين ابن جرير لم يعتد بها. تفسير المنار (١٦/٩).

(٥) صحيح البخاري (٤٠٤). وصحيح مسلم (١٠٦٢).

وبعد، فعندما يقرأ الإنسان سيرة كليم الله ﷺ في كتب اليهود ثم يقرأها في القرآن والسنة، يجد البون شاسعاً والفرق عظيماً، فاليهود احتقروه وسخروا منه وأذوه أشد الأذية، واتهموه وقذفوه إلى غير ذلك من أنواع الأذى العظيمة التي لا يقبلها العبد على نفسه فضلاً عن أن تنسب إلى نبي كريم ورسول عظيم.

(۱) صحيح البخاري (۳۲۰۷). ومسلم (۱۶۴) عن أنس ؓ.

(٢) من البداية والنهاية لابن كثير (٢/٢١٣).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٠١).

(٤) سورة آل عمران، الآيات (١ - ٤).

(د) سورة الأنعام، الأيتان (٩١ - ٩٢).

الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢﴾ ۝ قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ الْتَوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ نَحْكُمُ بِهَا النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّسُولُ وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَخْشَوْا إِيَّايَ ثُمَّ قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٢﴾ ۝ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿٣﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥﴾ ۝ فَجَعَلَ الْقُرْآنَ حَاكِمًا عَلَى سَائِرِ الْكُتُبِ غَيْرِهِ، وجعله مصدقاً لها، ومبيناً ما وقع فيها من التحريف والتبديل، فإن أهل الكتاب استحفظوا على ما بأيديهم من الكتب، فلم يقدروا على حفظها ولا على ضبطها وصونها، فلهذا دخلها ما دخلها من تغييرهم وتبديلهم، لسوء فهمهم وقصورهم في علومهم، ورياء قصودهم، وخيانتهم لمعبودهم، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، ولهذا يوجد في كتبهم من الخطأ البين على الله وعلى رسوله ما لا يحد ولا يوصف وما لا يوجد مثله ولا يعرف... وبالجملة فشرعية موسى عليه السلام كانت شريعة عظيمة، وأمته كانت أمة كثيرة، ووجد فيهم أنبياء وعلماء وعباد وزهاد وألباء وملوك وأمراء وسادات وكبراء، لكنهم كانوا، فبادوا وتبدلوا، كما بدلت شريعتهم، ومسحوا قردة وخنازير، ثم نسخت بعد كل حساب ملتهم، وجرت عليهم خطوب وأمور يطول ذكرها^(١).

(١) سورة الانعام، الايتان (١٥٤ - ١٥٥).

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٤).

(٣) سورة المائدة، الايتان (٤٧ - ٤٨).

(٤) من البداية والنهاية (٢/ ٢١٥ - ٢١٧) بتصرف.

وحين يقرأ المسلم سيرة موسى ﷺ وفضائله وأخباره في السنة النبوية يجد المصطفى ﷺ يعظمه ويجله ويستصحب أحواله ومواقفه دائماً. فجاء في حديث صوم يوم عاشوراء، لما قيل للمصطفى ﷺ عنه: إنه يوم صالح، في هذا اليوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى - فقال ﷺ: "فأنا أحق بموسى منكم". فصامه وأمر بصيامه^(١).

وجاء في الأحاديث نهي النبي ﷺ عن تفضيله على موسى. قال: "لا تفضلوني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فأجد موسى باطشاً بساق العرش. فلا أدري هل أفاق قبلي أو كان من استثنى الله؟"^(٢).

"وهذا فيه شرف كبير وعلو مرتبة لموسى ﷺ من هذه الحيثية"^(٣). ومن الأمثلة: ذكر المصطفى ﷺ لموسى وأحواله، فقد روى ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق، فقال: "أي وادٍ هذا؟"، قالوا: وادي الأزرق. قال: "كأنني أنظر إلى موسى وهو هابط من الثنية، وله جوار إلى الله ﷻ بالتلبية"^(٤).

وجاء في الصحيحين قوله ﷺ: "رأيت ليلة أسرى بي موسى بن عمران رجلاً طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة"^(٥)، وقال ﷺ: "عُرِضَ عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط،

(١) صحيح البخاري (٢٠٠٤، ٣٢٩٧، ٣٩٤٣، ٤٦٨٠، ٤٧٣٧)، وصحيح مسلم (١١٣٠) عن ابن عباس ؓ.

(٢) صحيح البخاري (٢٤١١، ٣٤٠٨، ٦٥١٧، ٦٥١٨، ٧٤٢٨)، وصحيح مسلم (٢٣٧٢) عن أبي هريرة، ولفظ: "لا تخيروني عن موسى". عند أحمد في المسند (٢/٢٦٤)، بإسناد صحيح، ويقرر العلماء أن المصطفى أفضل الأنبياء، ويجاب عن هذا الحديث بأن له سبباً وهو قصة اليهودي الذي حصل بينه وبين أحد الصحابة نزاع حول سلعة فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه مسلم وقال: أنقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، فاشتكى اليهودي إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: ذلك، فالتفضيل إن كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس والفخر كان مذموماً وينهى عنه، ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص (١٥٩).

(٣) من البداية والنهاية (٢/١٤٣).

(٤) صحيح مسلم (١٦٦)، ووادي الأزرق وادٍ في الحجاز قريب من مكة، ينظر: معجم البلدان لياقوت (١٦٨/١)، والروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد الحميري (٦٠٤)، والجوار: رفع الصوت بالتضرع والاستغاثة.

(٥) صحيح البخاري (٣٢٣٩)، وصحيح مسلم (١٦٥) عن ابن عباس ؓ.

والنبي ومعه الرجل والرجلان. والنبي وليس معه أحد. إذ رفع لي سواد عظيم. فقلت: هذه أمتي. فقبل: هذا موسى وقومه...^(١) وقال ﷺ: "لما أسري بي مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره"^(٢).

وذكر المصطفى ﷺ قصة موسى مع الخضر^(٣). وخبر وفاته - كما تقدم -^(٤). وكان ﷺ كثيراً ما يحكي أقوال موسى عليه السلام وأحواله^(٥).

والنصوص عن المصطفى ﷺ في بيان فضائل موسى وأحواله كثيرة جداً. وليس هذا موضع بسطها واستقصائها. وإنما المقصود الإشارة إلى عظيم قدر ومكانة كلیم الله موسى في القرآن والسنة. وأن الواجب أن تستقى سير الأنبياء وأحوالهم من القرآن وما صح من السنة. فهي المصدر الحقيقي والمنبع الشافي.

نسأل الله أن يعصمنا من الضلال. وأن يوفقنا إلى ما فيه الخير. والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) صحيح مسلم (٢٢٠) عن ابن عباس.

(٢) صحيح مسلم (٢٣٧د) عن أنس بن مالك.

(٣) ينظر: صحيح البخاري (٧٨. ٧٧٨. ٧٤٠٠. ٣٤٠١. ٣٤٧٢د. ٤٧٢٦٧. ٤٧٢٦٧). ومسلم (٢٣٨٠). عن ابن عباس.

(٤) ينظر: ص ().

(٥) ينظر: صحيح مسلم (١٧٩). وصحيح ابن حبان (٦٢١٧). والدعاء للطيراني (١٤٨٠). ومستدرک الحاكم (١٢٨/١). والعظمة لآبي الشيخ (١٤٠). والبدایة والنهاية (١٦١/٢). وتفسير ابن كثير (٤٥٦/١) وغيرها.

أبرز نتائج البحث:

- (١) تعددت مظاهر عداوة اليهود للأنبياء -عليهما السلام- ما بين اتهام لهم بالكبائر والردائل، والكفر بكثير منهم، ومحاولة قتل بعضهم، وقد قتلوا -أحزاهم الله- بعض الأنبياء -عليهما السلام-.
- (٢) من أبرز الأدلة على تحريف وتلاعب اليهود في التوراة التناقض الواضح والصريح في صفات الأنبياء عندهم.
- (٣) يزعم اليهود الإيمان بموسى عليه السلام، ويفضلونه على جميع الأنبياء، ولكن ما في التوراة المزعومة وأعمال اليهود، ما ينقض هذا التعظيم المزعوم، فتصور التوراة المزعومة موسى رجلاً فظاً جافاً، لا يتأدب مع الله ﷻ، ويكثر من الاعتراض عليه، وتصوره رجلاً مجسماً لله ﷻ، وتتهمه بالخيانة، وبعدم حفظ وصايا الرب، وأنه مشرك غير مقدس لله.
- وتصور التوراة العلاقة بين موسى وهارون ومريم بالعناد والحسد، وتستخف التوراة المزعومة بآيات موسى، إضافة إلى أمور أخرى كثيرة تبرز إهانة موسى عليه السلام في التوراة والانتقاص من قدره عليه السلام.
- (٤) كثر أذى بني إسرائيل لموسى عليه السلام، ما بين عصيان وتمرد وثورات، وتعترف التوراة وكتب اليهود بذلك، وتؤكد مراراً.
- (٥) استمر أذى اليهود لموسى عليه السلام بعد وفاته، ما بين تلاعب وتحريف للكتاب المقدس الذي نزل عليه، وما بين انحراف عن منهجه وتعطيل أحكامه، وتقديم أقوال الأخبار عليه.
- (٦) لم يكن كل بني إسرائيل على الأذى لموسى عليه السلام، بل كان فيهم أمة تدعو إلى الحق وبه تعمل، وهم كانوا قلة في زمن موسى عليه السلام وما بعده إلى ما قبل التحريف في التوراة.
- (٧) عرض القرآن الكريم والسنة المطهرة صوراً من مظاهر أذى اليهود لموسى عليه السلام، ومنها العصيان والتمرد والتضجر والتعنيت والتكذيب، والقذف والذم وسوء الأدب معه عليه السلام.

فهرس المصادر والمراجع:

- (١) الآثار الباقية عن الفرون الحالية، للطبري، مطبعة محمد محمد مطر، القاهرة، ١٢٢٧هـ - ١٩١٩م.
- (٢) أصول الدين، للبيضاوي، مطبعة الدولة الأولى، استنبول، ١٢٤٦هـ - ١٩٢٨م.
- (٣) إظهار الحق، لرحمة الله الهندي، تحقيق د. محمد أحمد ملكاوي، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- (٤) الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- (٥) أغائة اللهفان، لابن القيم، المكتبة الثقافية، بيروت، دت.
- (٦) إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، تقديم وتحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ.
- (٧) إكمال المعلم بموائد مسلم، للقاضي عياض، تحقيق د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٩٩٨هـ - ١٩٩٨م.
- (٨) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم المصري، دار المعرفة، بيروت، دت.
- (٩) البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (١٠) البذر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، دار المعرفة، بيروت، دت.
- (١١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.
- (١٢) التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، لليهودي نفتالي فيذر، ترجمة د. محمد سالم الجرح، مكتبة دار العروبة بالقاهرة، ومطبعة المدني، ط١، ١٩٦٥م.
- (١٣) تاريخ الأسرائيليين، لشاهين بك مكاربوس، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩٠٤م.
- (١٤) تاريخ الطبري - تاريخ الأمم والملوك - المطبعة الحسينية المصرية، على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الحطيط وشركاه، مصر، ط١، دت.
- (١٥) تاريخ ابن عساکر - تاريخ مدينة دمشق - تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- (١٦) تخجيل من حرف التوراه والانجيل، للهاشمي، تحقيق د. محمود محمد قدح، مكتبة العبيكان، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (١٧) تذكرة الحفاظ، للذهبي، وضع حواشيه زكريا عميرات، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (١٨) التراث الاسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن منه، لصابر طعيمة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- (١٩) تعليق التعليق، لابن حجر، تحقيق سعيد عبد الرحمن القرقي، المكتب الإسلامي، بيروت، ودار عمار بالأردن، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (٢٠) تفسير البغوي - معالم التنزيل - تحقيق مجموعة محققين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- (٢١) تفسير البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

- (٢٢) تفسير الثعالبي - الجواهر الحسان في تفسير القرآن - منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت.
- (٢٣) تفسير ابن الجوزي - زاد المسير في علم التفسير - تقديم زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (٢٤) تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ط. ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- (٢٥) تفسير أبي حيان - البحر المحيط - نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، د.ت.
- (٢٦) تفسير الرازي - الكبير - المطبعة البهية المصرية، ط. ١، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.
- (٢٧) تفسير ابن سعدي - تيسير الكريم الرحمن - تحقيق محمد زهري النجار، مؤسسة الرسالة، ودار المؤيد، ط. ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- (٢٨) تفسير أبي السعود - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مطبعة السعادة، مصر، توزيع مكتبة الرياض الحديثة.
- (٢٩) تفسير السمرقندي (أبو الليث)، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد الموجود، وزكريا النوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٩٩٣م.
- (٣٠) تفسير السيوطي - الدر المنثور - تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط. ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- (٣١) تفسير الشوكاني - فتح القدير - تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، توزيع دار الأندلس الخضراء، جدة، ط. ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- (٣٢) تفسير الطبري - جامع البيان - تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط. ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- (٣٣) تفسير ابن عادل الحنبلي - اللباب في علوم الكتاب - تحقيق مجموعة محققين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- (٣٤) تفسير ابن عاشور - التحرير والتنوير - الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- (٣٥) تفسير العز بن عبد السلام - مختصر النكت للماوردي - تحقيق د. عبد الله الوهبي، ليس على الكتاب بيان الجهة الناشرة، ط. ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- (٣٦) تفسير ابن عطية - المحرر الوجيز - تحقيق مجموعة محققين، مؤسسة دار العلوم، قطر، ط. ١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م.
- (٣٧) تفسير القاسمي - محابن التأويل - اعنتى به محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط. ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- (٣٨) تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - تحقيق د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- (٣٩) تفسير ابن كثير، تحقيق مجموعة محققين، دار عالم الكتب، الرياض، ط. ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- (٤٠) تفسير الكلبي القرطبي - التسهيل لعلوم التنزيل - تحقيق محمد اليونسى وإبراهيم عطوة عوض، مطبعة حسان، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- (٤١) تفسير الماوردي - النكت والعيون - تحقيق خضر محمد خضر، ومراجعة عبد الستار أبو غدة، الكويت، وزارة الشؤون الإسلامية، ط. ١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- (٤٢) تفسير مجاهد، تحقيق عبد الرحمن الطاهر السورتي، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، ط. ١، ١٣٩٦هـ -

١٩٧٦م.

- (٤٣) تفسير المنار. لمحمد رشيد رضا. دار المعرفة. بيروت. ط ٢. د. ت.
- (٤٤) تفسير ابن المنذر. تحقيق د. سعد محمد السعد. دار المأثر. المدينة المنورة. ط ٢٣. ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- (٤٥) التلمود (تاريخه وتعاليمه) لظفر الإسلام خان. دار التفانس. بيروت. ط ١. ١٩٧١م.
- (٤٦) تنقيح الأبحاث للملث الثالث. لسعيد بن منصور بن كمونة اليهودي. توزيع دار الأنصار. مصر. تقديم د. عبد العظيم المطعني. ط ٢. د. ت.
- (٤٧) تهذيب اللغة. للأزهري. تحقيق عبد السلام هارون. ومراجعة محمد النجار. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والبناء والنشر. ودار القومية العربية. القاهرة. ١٩٧٥م.
- (٤٨) الحرح والتعديل. للرازي. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدرآباد. الهند. ط ١. ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- (٤٩) جهود الإمامين ابن تيمية وابن القيم في دحض مفتريات اليهود. لسميرة عبد الله بكر بناني. ط جامعة أم القرى. مكة المكرمة. ط ١. ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- (٥٠) الحوالب الصحيح لمن يدل دين المسيح. لابن تيمية. تحقيق مجموعة محققين. دار العاصمة بالرياض. ط ١. ١٤١٤هـ.
- (٥١) جواهر الأفكار ومعادن الأسرار. لابن بدران. تحقيق زهير الشاويش. المكتب الإسلامي. بيروت. ط ١. ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (٥٢) حسن المحاصرة في تاريخ مصر والقاهرة. للسيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي. القاهرة. ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- (٥٣) الحكمة من إرسالي الرسل. للشيخ عبد الرزاق عفيفي. مطبعة المدني. مصر. ط ١. ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- (٥٤) حلية الأولياء. لأبي نعيم. مطبعة السعادة. مصر. ط ١. ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- (٥٥) حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل. لسيحال. ترجمة د. حسن ظاظا. طبعة بيروت. ط ١. ١٩٦٧م.
- (٥٦) دائرة المعارف اليهودية. اورشليم. إسرائيل. ١٩٧٨م.
- (٥٧) دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم. عدة أجزاء. د. محمد بيومي مهران. ليس على هذه السلسلة بيان الجهة الطابعة. ط ١. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- (٥٨) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. لابن حجر. تحقيق محمد سيد جاد الحق. دار الكتب الحديثة. مصر. ط ٢. ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م. مطبعة المدني.
- (٥٩) دقائق التفسير. لابن تيمية. جمع محمد السيد الجليلند. مكتبة دار الأنصار. القاهرة. ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- (٦٠) دلائل النبوة. للبيهقي. تحقيق عبد المعطي قلعي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط ١. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (٦١) دلالة الحارين. لموسى بن ميمون. مراجعة حسين آتاي. جامعة أنقرة. تركيا. ١٩٧٢م.
- (٦٢) الديباج. لابن فرحون. تحقيق محمد الأحمد أبو النور. دار التراث. القاهرة. د. ت.
- (٦٣) ذيل مرآة الزمان. للبونيني. دائرة المعارف العثمانية. الهند. ط ١. ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.
- (٦٤) الرسالة السبعينية الحاوية للضوابط الإرشادية بإبطال الديانة اليهودية لإسرائيل بن شموئيل الأورشليمي. تحقيق عبد الوهاب طويلة. دار القلم. دمشق. ط ١. ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م. ط أخرى ملحقه بإفحام اليهود للسموأل. بعناية وتقديم د. أحمد حجازي. مكتبة الناقد. مصر. ط ١. ٢٠٠٥م.
- (٦٥) رسالة في اللاهوت والسياسة لما روخ سينيوزا. ترجمة وتقديم حسن حنفي ومراجعة فؤاد زكريا. طبعة الهيئة المصرية. ١٩٧١م.
- (٦٦) الزهد. للإمام أحمد بن حنبل. تصحيح عبد الرحمن بن قاسم. ط مكة المكرمة. ١٣٥٧هـ - ١٣٨م.
- (٦٧) سنن أبي داود. تحقيق محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. بيروت. ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

- (٦٨) السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- (٦٩) سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق مجموعة محققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- (٧٠) السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
- (٧١) شرح ابن بطلال للبخاري، محمل من الإنترنت.
- (٧٢) الشرح الصغير على أقرب المسالك، لابن الدردير، محمل من الإنترنت.
- (٧٣) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق د. عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- (٧٤) شريعة الحرب عند اليهود، لحسن طاطا والسيد محمد عاشور، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م، دون بيان الجهة الطابعة.
- (٧٥) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، د.ت.
- (٧٦) شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- (٧٧) الشفاء للقاضي عياض - بشرح ملا علي القاري، تحقيق حسنين محمد مخلوف، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م.
- (٧٨) الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة تاج طنطا، ومطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
- (٧٩) الصحاح للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- (٨٠) صحيح البخاري، ينظر: فتح الباري لابن حجر.
- (٨١) صحيح ابن حبان مع الإحسان لابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (٨٢) صحيح سنن أبي داود، للشيخ الألباني، بتكليف من مكتبة التربية العربي لدول الخليج، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- (٨٣) صحيح مسلم، تحقيق وتعليق موسى لاشين وأحمد عمر هاشم، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (٨٤) الصفة، لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، شركة مطابع حنيمة، الرياض، على نفقة الملك فيصل - رحمه الله -، د.ت.
- (٨٥) ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، للشيخ الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- (٨٦) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- (٨٧) طبقات المفسرين، للسيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مطبعة الحضارة العربية، مصر، نشر مكتبة وهبة، مصر، ط١، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- (٨٨) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، للجبرتي، تحقيق د. عبد العظيم رمضان، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.
- (٨٩) عرائس المجالس، للنعلبي، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- (٩٠) العظمة، لأبي الشيخ، تحقيق رضا الله المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

- (٩١) العقائد السلفية. لـ أحمد بن حجر ال بو طامي. بيروت. ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- (٩٢) فتح الباري. لابن حجر العسقلاني. شرح صحيح البخاري. تحقيق الشيخ ابن باز وتصحيح محب الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. المطبعة السلفية. القاهرة. ١٣٨٠هـ.
- (٩٣) فتح الباري. لابن رجب. كتاب محمل من الإنترنت.
- (٩٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل. لابن حزم. تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة. شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع. جدة. ط١. ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- (٩٥) فضائح التلمود. للأب برنابيتس. إعداد زهدي الفاتح. دار النفائس. بيروت. ط٢. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (٩٦) فهرس الفهارس. للكتاني. عناية احسان عباس. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- (٩٧) فوات الوفيات. للكتبي. تحقيق احسان عباس. دار صادر. بيروت. د.ت.
- (٩٨) قالوا عن الإسلام. لعماد الدين خليل. نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي. الرياض. ط١. ١٤١٢هـ.
- (٩٩) قاموس الكتاب المقدس. تأليف بعض النصارى. صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى. بيروت. ط٢. ١٩٧١م.
- (١٠٠) القاموس المحيط. للفيروز آبادي. تحقيق مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة. بيروت. ط١. ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- (١٠١) القراؤون والربانون. لمراد فرج. شركة مطبعة الرغائب. مصر. ١٩١٨م.
- (١٠٢) الكامل في التاريخ. لابن الأثير. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط٤. ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- (١٠٣) الكتاب المقدس لدى اليهود المزعوم أنه التوراة. دار الكتاب المقدس. د.ت.
- (١٠٤) الكنز المرمود في قواعد التلمود. د. روهلنج. ترجمة يوسف حنا نصر الله. طبعة بيروت. ط٢. ١٣٨٨هـ.
- (١٠٥) لسان العرب. لابن منظور. طبعة مصورة عن طبعة بولاق. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر. مصر. د.ت.
- (١٠٦) لسان الميراث. لابن حجر. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت. ط٢. ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.
- (١٠٧) اللفظ المكرم بخصائص النبي المكرم. للخيضري. تحقيق محمد الأمين الجكني. مطابع ابن تيمية. القاهرة. ط١. ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- (١٠٨) مجاز القرآن. لابي عبيدة. تحقيق محمد فؤاد سزكين. مؤسسة الرسالة. ط١. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (١٠٩) المجددون في الإسلام. لعبد المتعال الصعيدي. مكتبة الآداب. القاهرة. ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- (١١٠) مجموع فتاوى ابن تيمية. جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد. طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. المدينة المنورة. ١٤١٦هـ.
- (١١١) المستدرک علی الصحیحین. للحاکم. دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- (١١٢) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة. د. عبد الكريم زيدان. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط١. ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- (١١٣) مسند البزار - البحر الزخار - تحقيق محفوظ الرحمن زين الله. مؤسسة علوم القرآن. بيروت. ومكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة. ط١. ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- (١١٤) مسند الطيالسي - تحقيق د. محمد بن عبد المحسن التركي. هجر للطباعة والنشر والتوزيع. مصر. ط١. ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (١١٥) مصنف بن أبي شيبة. تحقيق وتصحيح عامر الأعظمي. الدار السلفية. الهند. د.ت. ط أخرى تحقيق حمد الجمعة. ومحمد اللحيدان. مكتبة الرشد. الرياض. ط١. ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- (١١٦) مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.
- (١١٧) المعتقدات الدينية لدى الغرب، لعبد الراضي محمد عبد المحسن، طبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط. ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- (١١٨) معجم الطبراني الأوسط، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (١١٩) معجم الطبراني الكبير، تحقيق حمدي السلفي، الدار العربية للطباعة، بغداد، ط. ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، بإشراف وزارة الأوقاف العراقية.
- (١٢٠) معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، عناية مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بيروت، ط. ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- (١٢١) معجم المطبوعات العربية، ليوسف سركيس، مطبعة سركيس، القاهرة، ١٩٢٨م.
- (١٢٢) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، للقرطبي، تحقيق مجموعة محققين، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب بدمشق، ط. ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- (١٢٣) من عاش بعد الموت، لابن أبي الدنيا، تحقيق مصطفى عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (١٢٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ومراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- (١٢٥) منهج ابن القيم في دراسة عقائد اليهود، مجدي أبو عويمر، مجلة الحكمة، عدد (١٨)، صفر ١٤٤٠هـ.
- (١٢٦) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، ط. ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
- (١٢٧) النبوة والأنبياء عند بني إسرائيل، د. محمد بيومي مهران، ليس على الكتاب بيان الجهة الطابعة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- (١٢٨) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقريء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- (١٢٩) هداية الخيار في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٣٩٦هـ.
- (١٣٠) هدية العارفين، لإسماعيل باشا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة عن طبعة وكالة المعارف الجليّة، استنبول ١٩٥١م.
- (١٣١) همجية التعاليم الصهيونية، لبولس حنا سعد، تقديم محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. ١٩٦٩م.
- (١٣٢) الوافي بالوفيات، للصفدي، اعتناء هلموت ريتز، دار النشر فرانز شتاينر، ط. ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.
- (١٣٣) يهود الأمس سلف سيء لخلف أسوأ، للشيخ عبد الرحمن الدوسري، مراجعة وتعليق مصطفى بن أبي النصر، مكتبة السواندي، جدة، ط. ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- (١٣٤) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، لجوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتن، ١٩٦٧م.
- (١٣٥) اليهودية والمسيحية، للأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط. ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.